

الورقة الأخيرة

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

العدد الثالث والعشرون

سبتمبر ٢٠١٧

الورقـة الأخـيرة

إسـحق إسـكندر

الـــــســـلســـلة: ملء الجباب

الــــــكتاب: الورقة الأخيرة

الــــــكاتب: إسحق إسكندر

كمبـــيــــوتر: Pateer Center

تصميم الغلاف: م. مرزوق وجيه

مطبـــــــعة: أوتو برنت

إيـــــداع رقم: ١٥٩٤٤ - ٢٠١٧ بدار الكتب

ترقيــم دولـــى: 978-977-321-304-6

فهرس

مـــــــقدمة

عندما يــكتب الجامعة أن "نِهَايَــةُ أَمْرٍ خَيْــرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ".. فهذا يرفع أنظارنا -لا إلى ما تحت أقدامنا.. بل- إلى **الفصل الأخيــر** من الرواية، وإلى **الورقة الأخيرة** من الملحمة.

وذلك حتى يكون حكمنا، فى النهاية، حكماً سديداً.

وإذ ذاك، فإننا كما كتب عنا كاتب العبرانيــين: " لأَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى **الصَّبْرِ**، حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ اللهِ تَنَالُونَ الْمَوْعِدَ" (عب١٠:٣٦).

أو كما كتب لنا الرســول بولس: "وَالرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ، وَإِلَى **صَبْرِ الْمَسِــيحِ**" (٢تس٣:٥).. صبر المسيح، حالياً فى السماء، على هذا العالم الموضوع فى الشرير (١يو٥:١٩).

كل الأشياء

"وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ". (رو ٨ : ٢٨)

عندما يكتب الرسول: "ونحن نعلم أن **كل الأشياء** تعمل معاً للخير..."، يظن البعض – ظناً خاطئاً – أن كل شئ فى حد ذاته هو خير.. ويفسرون الآية التى تقول: "قُولُوا لِلصِّدِّيقِ خَيْرٌ!" (إش ٣ : ١٠) بأن كل شئ – أيا كان – مادام للصديق، فهو **فى حد ذاته** خير.

فإن كان شيئاً طيباً فهو خير.. وإن كان رديئاً فهو أيضاً خير.. إن كان موافقاً فهو خير.. وإن كان معاكساً فهو أيضاً خير.. إن كان مفيداً فهو خير.. وإن كان مضراً فهو أيضاً خير.. وهكذا.. وهو تفسير تعسفى يلوى عنق الحقيقة.

فالكتاب لا يقول بهذا.. بل يقول ونحن نعلم أن كل الأشياء **تعمل معاً**، كسلسلة مترابطة الحلقات تصل بنا فى النهاية إلى الحلقة الأخيرة منها.. وهى الخير للذين يحبون الله.. بل ويحبهم الله.

ليس بالضرورة إذاً أن تكون كل حلقة فى هذه السلسلة خيراً.. فربما جاءت حلقة أو أخرى ليست فى حد ذاتها خيراً.. لكنها بارتباطها بما قبلها، وبما بعدها – خيراً كان أم شراً – تكوّن سلسلة واحدة.. أو منظومة متكاملة.. تنتهى بحلقة أخيرة.. هى بالضرورة خير.. وليست شيئاً غير الخير، للذين يحبون الله.

يقول قائل: إن كانت هناك بعض الحلقات السيئة.. أو المؤذية.. أو المؤلمة.. أو.. أو عموماً التى ليست خيراً فى هذه السلسلة – وهى ما يسميه الكتاب

شراً[1] - فمن أين أتى هذا الشر أو الأذى؟

هل الله عندما خلق العالم، خلق معه هذا الشر؟

كلا.. بالطبع.. إذا كيف يكتب النبى أن الرب "صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ" (إش ٤٥ : ٧).

الإجابة: أن المقصود بالشر هنا هو الأذى.. وما لفَّ لفَّه من أمراض، وكوارث.. إلخ.. وليس الشر بمعنى الخطية.

هل الله خلق هذا الأذى؟

كلا بالطبع.. إذ لم يخلق الله الشرَّ شرًّا.. أو أذى وضرراً.. وإنما خلق البكتريا مثلاً، لفائدة الإنسان.. والرياح والأمطار لخدمة البشرية.. وهلم جرًّا.. وكل ما خلقه وعمله فى هذا الكون المنظور، خلقه وعمله قبل صنع الإنسان.. وكان حسناً.. وكان لخدمة الإنسان.

لكن دخول الخطية إلى العالم - بسقوط الإنسان - ولَعْن الأرض، حوَّل خليقة الله هذه إلى سيف ذى حدين.

فكما تفيد الخليقة الإنسان أصبح بإمكانها أن تضره.. وتكون وسيلة لموته.. وصولا إلى تنفيذ العقوبة: "أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رو٦:٢٣)، وذلك منعاً لوصول الإنسان إلى "شَجَرَةِ الْحَيَاةِ".. حتى لا يأكل منها "وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ" (تك٣:٢٢-٢٤).

وقد شملت هذه اللعنة كل شئ تحت الشمس.. من بكتريا مفيدة، أصبح باستطاعتها أن تتحور ميكروبات تضر، وفيروسات تفتك..ومن رياح لا زمة،

راجع ملحق (١).. وهلم جرا

أضحى بإمكانها أن تنفلت زوابع تقتلع، وأعاصير تدمر.. ومن غيوث محيية (مز٦٥: ١٠)، بات بمقدورها أن تنقلب فياضانات تغرق، وسيولاً تكتسح.. إلخ.

لقد فقد الإنسان – بسقوطه – سلطانه على الخليقة.. وتحول هذا السلطان إلى الشيطان..من ثم لم تعد عوامل الطبيعة خاضعة للإنسان.. ولا عاملة بالضرورة – في كل الأحوال – لخيره، بل خضعت للرئيس الذى استجد لهذا العالم.. ألا وهو الشيطان.. وتأمل معى ما الذى يمكن أن يعمله هذا الأخير.

فعلى سبيل المثال: قد أمكنه – بسماح من الله – أن يهيج الهواء المفيد – بصفته رئيس سلطان الهواء (أف ٢ : ٢) – لينقلب عاصفة ، تهدم البيت على أبناء وبنات أيوب العشرة مع عائلاتهم (أى ١ : ١٨ ، ١٩).

من الذى خلق هذه الرياح التى انقلبت شراً على بنى أيوب؟.. إنه الله.. إلا أنه لم يخلقها شراً.. وهلم جراً.

أصل هذه البلايا إذا لم يكن شراً، بل كان مخلوقاً لخير الإنسان، وقد صنعه الله مفيداً قبل أن ينقلب كارثة وبلوى.

وهذا يفسر العبارة القائلة: "هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟" (عا٣:٦).. البلية صنعها الله.. ولكن قبل أن تنقلب بلية.

الأذى وأنواعه

"مَا أَبْـــعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الــــفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!". (رو ١١ : ٣٣)

رأينا أن الأذى هو الضرر الذى يصيب الإنسان.

والذى يسميه الكتاب "شراً"، فى أحد مفاهيمه.. وهو بخلاف الشر المذكور أيضاً فى الكتاب بمفهوم الخطية والإثم.

هناك نوعان من الأذى:

أولاً: الأذى الإلزامى؛ وهو ما يســـميه الكتاب شراً.. أو بلية.. كمال سبق ورأينا.. وهو بمعنى الضرر.. والخسارة إلى آخره.

ثانيـــا: الأذى الاختيارى؛ وهو ليس أذى أو شراً يصيبنا.. ولكنه ألم نتيجة ســلوك اختيارى.. لنا أن نســـلكه، أم لا نسلكه.. لذلك فربما كانت كلمة أذى غير مناسبة، واستخدامها هنا، هو من لزوم السياق فقط.

الأذى الإلزامى

" فَلاَ يَتَأَلَّمْ أَحَدُكُمْ كَقَاتِل، أَوْ سَــــارِق، أَوْ فَاعِلِ شَرّ، أَوْ مُتَدَاخِلٍ فِي أُمُورِ غَيْرِهِ ".
(١بط ٤ : ١٥)

أربعة أسباب تؤدى إلى هذا الأذى أو الضرر:

السبب الأول : هو تطبيق لقانون **" الزرع والحصاد"**

السبب الثانى : هو نتيجة **"التأديب من الرب"**

السبب الثالث : هو **امتحان الإيمان**

السبب الرابع : هو نفاذ ما يسمى خطأ بـ **"المكتوب ع الجبين"**

الأذى غير المسبب:

ويظل بعد هذه الأســـباب، أذى آخر يمكن أن يصيبنا – بسماح من الله – دون أسباب واضحة لنا حتى الآن.

إلا أن نتيجة كل هذا – ما هو مســــبب، وما هو غير مسبب – هو الخير للذين يحبون الله.. سواء علمنا الأسباب أو لم نعلمها.

السبب الأول:

أن يـــكون ما يـــصيبنا، هو حصاد لما نزرعه باختيارنا.. ونتيجة طبيعية إلزاميـــة لما نفعله إراديـــاً.. طبقاً لقوانيـــن ثابتة وضعها الله.. وهى قوانين الزرع والحصاد.. الحرفى فى الطبيـــعة.. والمعنوى فى مجال الحياة.. والروحى بمنظور الأبدية.

فالحصاد الحرفى: نراه فى الزراعة.. فزارع بذار الحنطة يحصد سنابل قمح تبذر بذاراً **كجنسها**.. أى من نوع المزروع؛ وهو الحنطة.. كذلك فى المجال الطبى مثلاً (وهو مجال حرفى)، نجد أن من يدمن التدخين يزرع مواد ضارة لرئتيه.. ويحصد أمراضاً هذا عددها.. دون أن يكون هناك تدخل مباشر من الله لإصابته بهذه الأمراض.. إذ سبقت يد الله فعينت هذا القانون الطبيعى.. ليسرى على كل شئ.. تلقائياً.. دون تحرك مباشر من جانب الله فى كل حالة فردية.. بل هو قانون عام يطبق على الجميع.. وضعت أصوله يوم خلق الله الخليقة، لكى يكون الحصاد بذاراً من جنس الصنف المزروع.

والحصاد المعنوى: يقول عنه الرسول بولس أن من يزرع الخير سيحصد خيراً.. عندما كتب: "فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ" (غلا ٦ : ٩).. وعلى العكس، "**الزَّارِعُ إِثْمًا يَحْصُدُ بَلِيَّةً**" (أم ٢٢ : ٨).

أما **الحصاد الروحى:** فهو لمن ينتهز فرصة الوقت المقبول (حاليا)، فيزرع لروحه توبة وإيماناً.. أو العكس.. وفى هذا يكتب الرسول: "لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً" (غلا٦:٨).

والخلاصة:

كتبها الرسول: "لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. **فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا**" (غل ٦ : ٧).

السبب الثانى:

أن يكون ما يصيبنا هو نتيجة **تأديب** من الرب.. لأنه "إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ (الله) أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يو ١:٩)..

"لأَنَّنا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا (بالاعتراف والتوبة) لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا، وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَـيْـنَا (إن لـم نعترف ونرجع)، **نُؤَدَّبُ** مِنَ الـرَّبِّ لِـكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْـعَالَـمِ" (١ كو ١١: ٣١).

والـتأديـب يـمكن أن يـكون أذى أو ضرراً فى أى مجال.. مادى.. أو عائلى.. أو إجتماعى.. أو وظيفى.. إلخ.

وعن التأديب الصحى أو الجسـدى.. يكتب الرسـول: "مِنْ أَجْلِ هذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ (بالوعكة المؤقتة أو الحادة) وَمَرْضَى (بالمرض المزمن)، وَكَثِيرُونَ يَـرْقُدُونَ" (١ كو ١١: ٣٠).. وكلمة **يرقدون** تفيد أنهم مؤمنون.. إذ يعتبر موتهم ولو كان تحت التأديب **رقاداً**.. مما يؤكد عدم إدانتهم وهلاكهم مسـتقبلاً، هو ما اختتم به الـرسـول هذا الـجزء.. بقولـه: "نُؤَدَّبُ مِنَ الـرَّبِّ لِـكَيْ **لاَ نُدَانَ** مَعَ الْـعَالَمِ" (١كو ١١: ٣٢).. "وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ (بالتأديب) ثَمَرَ بِرّ لِلسَّـلاَمِ" (عب١٢: ١١).

الاختلاف بين السببين:

ويختلف الضرر الناتج كحصاد للزرع، عن الضرر الناتج من التأديب:

فالأول: نتيـجة طبيعية لا دخل ليد الله المباشرة فى إحداثه.. إذ سـبق أن وضـع الله هذا القانون وتركه يُطبق **تلقائياً**.. صحيح أن الله هو الذى ينمى الزرع.. لكنه لا يـتدخل مباشرة فى جعل بذار الحنطة تنتج قمحاً.. ولا يتدخل فى تغيير هذا القانون الطبيعى (قانون الزرع والحصاد)، بجعل بذار الأرز، مثلاً، تنتج فولاً.

أما الـثانى: فهو بسـماح من الله – بصورة **مباشرة** – لـعوامل الضرر والأذى أن تصيـب المخطئ.. وبالطبع دون أن تكون يـد الله هى المؤذية، بل تلك العوامل بسماح منه.

هناك اختلاف آخر، **فالأول:** هو قانون عام يـــطبق على الجميـــــع.. دون تحديد شخص معين ليطبق عليه.

أما **الثانى:** فهو يتم بصفة فردية، على أشخاص بعينهم؛ هم الذين يخطئون.

يقول قائل ولكن جميعنا معرض للخطأ.. إذاً فجميعنا سوف نؤدب.. لم يقل الرســـول هذا.. بل: "لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُســــِنَا" (١ كو١١:٣١).. أى يُستثنى من التأديـــب الأفراد الذيـــن يحكمون على أنفســـهم.. ويدينون ذواتهم فيما أخطأوا به.. فتُغفر خطيــتهم (١ يـــو١:٩).. أما من لا يحكم على نفســـه بالإدانة.. ولا يعترف بخطيته فيقع تحت التأديب، بصورة فردية[٢].

والـــمقصود أنه ربما تعتبر الخطية التى يفعلها اثنان من المؤمنين واحدة.. لـــكن واحد يتوب فلا يُؤدب.. والثانى لا يعترف ولا يتوب، فيقع تحت التأديب.. مع أن الخطيـــة واحدة.. لكن الموقف يـــتفاوت بصفة فردية.. وليس مثل قانون الزرع والحصاد.

ويـــكتب النبى: " قُلْتُ: «**أَعْتَرِفُ** لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ **رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيـــَّتِي**" (مز٣٢:٥).

ويـــكتب الرســـول: "إِنِ **اعْتَرَفْنَا** بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى **يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا** وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يو ١ : ٩)

حتى التأديـــــب، مع أنه قضاء، إلا أنه يندرج تحت كل الأشياء.. إذ يؤدى **للخير** فى النهاية. فهو:

١- "لأَجْلِ **الْمَنْفَعَةِ**، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي **قَدَاسَتِهِ**" (عب١٢:١٠).

٢- "وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ **ثَمَرَ بِرّ** لِلسَّلاَمِ" (عب١٢:١١).

السبب الثالث:

هو أن يكون ما يصيبنا هو لامتحاننا.. كقول الرسول بطرس: "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ، لأَجْلِ **امْتِحَانِكُمْ**، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ" (١بط٤:١٢).

وعن التجارب المحزنة المتنوعة يكتب: "إِنْ كَانَ يَجِبُ (أى إن لزم الأمر) تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ **يُمْتَحَنُ** بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١بط١:٦،٧).

وحيث أن الامتحان هنا، هو من خلال البلوى المحرقة، أو التجارب المحزنة، فهو ليس اختيارياً بل **إلزامياً**.

وهذا الامتحان يختلف عن امتحان أبينا **إبراهيم**.. الذى كان **اختيارياً**.. فإما أن يقدم ابنه وحيده الذى يحبه إسحق محرقة (تك٢٢:١،٢).. فينجح فى الامتحان.. وإما أن يمسك ابنه.. فيرسب.. وقد **نجح** أبونا إبراهيم (تك٢٢:١٦).

وربما كان للبعض منا أمور فى حياته تماثل إسحق، يمتحننا الرب للتخلى عنها بإرادتنا واختيارنا.

أما البلوى المحرقة، أو التجارب المحزنة، فتندرج تحت بند: " **الأذى الإلزامى**".

وليس هناك صعوبة فى فهم أسباب هذا الأذى.. وهو لتزكية الإيمان.. وتنقيته كالذهب الذى يمتحن بالنار.. أما لماذا يصاب البعض به دون الآخرين؟.. فالإجابة هى؛ أن كل غصن فى المسيح "يَأْتِي بِثَمَرٍ **يُنَقِّيهِ** لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ" (يو١٥:٢).. وينقيه - أحياناً - من خلال التجارب.

ولنا رمز واضح فى العهد القديــم وهو: "وَأَمَّا إِنَاءُ الْخَزَفِ الَّذِي تُطْبَخُ فِيهِ (ذبيحة الخطية) فَيُكْسَرُ" (لا٦:٢٨).

ما المعنى؟.. الإناء؛ هو المؤمن (رو٩:٢٣ & ٢تى٢٠،٢١).. وهو - من أحد الزوايا - إناء من خزف (٢كو٤:٧).

أما ذبيحة الخطية؛ فترمز للرب يســـوع (مز٤٠:٦،٧ & أف٥:٢).. وإذ كانت تؤكل (لا٦:٢٦)، كان يتم طبخها.. للتمكين من أكلها وهضمها.

وبـــالتالى فإن الإناء الذى تطبخ فيه ذبيحة الخطية، هو المؤمن الذى يحول الحقائق الكتابيـــة المختصة بموت المســـيح الكفارى كذبيحة خطية، إلى مادة يفهمها المعنيون ويهضمونها.. لاسيما الذين ليس لهم دراية بكلمة الله.

ما هى المكافأة، أو الأجر، لمن يحول صليب المسيح إلى مادة، سبق له أن هضمها هو.. ثم قدمها مفهومة للآخريـــن؟.. إنه - مثل الإناء الخزفى - يُكســـر.. أهكذا؟.. نعم.. عجيب!.. لماذا؟.. حتى لا ينتفخ الخزف (التراب).. بل يظل المؤمن - والحال هكذا - متَّضعاً.. والكسر يتم بوسائل لا حصر لها.. تندرج كلها تحت بند **الأذى الإلزامى**.

أما إن طبخت الـــذبيـــحة "فِي إِنَاءِ نُحَاسٍ (فإنه)، يُـــجْلَى وَيُـــشْطَفُ بِمَاءٍ" (لا٦:٢٨).

مـــا المعنى؟.. عرفنا أن المؤمن هو إناء.. وأنه من خزف.. فما هو الإناء النحاســـى؟.. إنه نفس المؤمن؟.. عجيـــب أأكون أنا - باعتبارى مؤمناً - إناءً من خزف، وأيضاً من نحاس.. فى نفس الوقت؟

نعم.. إن الخزف هو الإناء **الخارجى** - أى الجسد الترابى، ومشتملاته من الـــضعفات (عب٤:١٥ & ٥:٢).. أما النحاس فهو الإناء **الداخلى** الروحى.. وجلاؤه

إشارة إلى تلميـــعه.. وشطفه بالماء إشارة إلى تســليط كلمة الله؛ المياه الحية، عليه لإزالة الشوائب الناتجة عن التلميع.

وهذان؛ الــخارجى، والداخلى، أشار إليــهما الرســول فى قوله: "لِذلِكَ لاَ نَـفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا **الْخَارِجُ** يَفْنَى(ككسر الإناء الخزفى)، **فَالدَّاخِلُ** يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا (كتلميع وشطف الإناء النحاسى)" (٢ كو ٤:١٦).

والعبرة بالنهاية.. نهاية الكسر والتلميع.. **وهى الخير للذين يحبون الله.**

السبب الرابع:

أن يــكون ما يصيبنا هو، نتيجة ما يسمى خطأ بـ "المكتوب ع الجبين، اللى لازم تشوفه العين"

وهو تعبير صحيح فى جزء منه.. وهو أن هناك فعلاً **مكتوباً.**

لكن الخطأ **الأول** فيه هو، أنه مكتوب على **الجبين**.. والصحيح أنه مكتوب -ولكن- على **الجين**.. وليس على الجبين.

والــخطأ الــ**ثانى** هو، أنه "**لازم** تشوفه العيــن".. والصحيــح أنه **ليــس بالضرورة** أن "تشوفه العيـــن".. ولكن **من الممكن** أن "تشوفه العين".. ومن الممكن ألا "تشوفه".

فـالمكتوب على الجينات يتوارثه الأبناء والأحفاد، بصفة عامة، من صفات آبـــائهم وأجدادهم الوراثية.. فى الشكل، والقدرات الجسمية، والذهنية.. إلخ.. وطبعاً ليس بالضرورة أن يكون الإرث مطابق للأصل بنســبة ١٠٠%.. ولكن ربما كانت هناك فوارق بينه بين الأصل.. لكنها فوارق غير أساسية.

لذلك فالعائلة التى أجدادها مصابون بمرض ما، مثل السكر، أو السرطان،

يحمل كثير من أبنائها فى جيناتهم الموروثة أصول هذه الأمراض.. وإن لم يكن بالضرورة أن تصاب كل الأجيال الوارثة بهذه الأمراض، إلا أن احتمال إصابة بعضهم بها قائمة أكثر من غيرهم.

لذلك فإن كلمة "**ممكن**"، وليس كلمة "لازم"، هى ما "تشوفه" العين.

وكلمة **ممكن** هذه هامة جداً.. لأنها تعطى لله الفرصة، لأن يتدخل بصلاحه ورحمته فى هذا الأمر -أى فى قوانين الوراثة- ليس لتغييرها.. -إذ أنه واضعها- ولكن فى الاختيار قبل الزواج.. أو فى الانتخاب أثناء حدوث الحمل.. أو بأى وسيلة أخرى؟

نعود لنكتب العبارة الصحيحة: "المكتوب على **الجبين** (وليس الجبين) **ممكن** (وليس لازم) تشوفه العين".

الأذى غير المسبب:

وهو الأذى الذى يأتى دونما أسباب واضحة لنا -كالأسباب السابقة، على الأقل- حتى الآن.. ومادام غير مسبب، فهو إلزامى بالضرورة.

إذ هو بسماح من الله دونما سبب ظاهر.. بل يندرج تخت عبارة "**سر الله**".. التى ستكون موضوعنا فى العدد القادم بمشيئة الرب.

مثلاً: عندما يموت شاب فى ريعان شبابه، تصدمه سيارة.. وهو واقف على الرصيف.. تاركاً أطفالاً أيتاماً فى أمسِّ الحاجة إليه.. وزوجة مكلومة تحتاجه بشدة فى رحلة الحياة.. فهل ما أصاب هذه الأسرة يندرج تحت أى سبب من الأسباب الأربعة؟

هل زرع الأولاد شيئاً حتى يحصدوا موتاً لأبيهم؟.. أم هو تأديب لهم على ذنب لم يقترفوه؟.. أم هو امتحان لإيمانهم؟.. أم أن جينات الأجداد مبرمجة على أن

يموت الآباء فى حوادث كهذه؟

طبعاً لا هذا ولا ذاك.

ولــــكنه إذن من الله أن يـــحدث هذا الأذى.. دون ســـبب واضح يـــرتبط بالإنسان.. إنما لأسباب تخص الله.. سنتناولها.. بقدر الإمكان.. بنعمة الرب.

وإن كنا سنتناول بعض الأسباب التى تخص الله، لسماحه بحدوث الأذى – فهذا بقدر إدراكنا القاصر – لكن يـــظل بحر الأســـرار عميـــقاً على أفهامنا الآن.. وعــصياً على إدراكنا المحدود.. ويظل لله سرًّا مجهولاً فى كل ما يحدث.. هو "سر الله" (عا ٣ & رؤ ١٠).. وهذا ما لابد أن يُكشف مســـتقبلاً.. كقول الرب لبطرس: "لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ" (يو١٣:٧).. "لأَنَّنَا (الآن) نَعْلَـــمُ بَـعْضَ الــْعِلْــمِ" (١كو١٣:٩).. "فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُــغْزٍ" (١كو١٣:١٢).. هى مرآة استقبال كياننا القاصر لألغاز الحياة.

الأذى الاختيارى

" إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَـــأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نفسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي". (مت ٦ : ٢٤)

إن كان هناك أذى إلزامي كما رأينا.. لكن ليس كل الأذى هكذا.

فهناك أذى اختيارى.. ومعذرة لاستعمال كلمة **أذى**.. إذ أن سياق هذا الكتيب كله يتكلم عن الأذى؛ أى الشر أو الضرر.

لكن الكلمة الأدق هنا هى، الألم - وليس الأذى - الاختيارى.

واختيارنا لهذا الألم هو من خلال مجالين:

الأول: الألم من أجل البر.. و**الثانى:** الألم من أجل **المسيح**

الأول: الألم من أجل البر، **والتقوى**.. وهذا ما قاله الرب بفمه الكريم: "طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ **الْبِرِّ**" (مت ٥ : ١٠).. وهو ألم اختيارى.. كقول الرسول: "وَجَمِيعُ الَّذِينَ **يُرِيدُونَ** أَنْ يَعِيشُوا **بِالتَّقْوَى** فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ" (٢ تى ٣ : ١٢)..

وكلمة **يريدون** تفيد أنه ألم اختيارى قبلناه.. وقبلنا الاضطهاد المؤدى له بإرادتنا.

الثانى: الألم من أجل **المسيح**.. وهذا ما تكلم عنه الرب، مضيفاً إياه إلى الألم من أجل البر.. فى الموعظة على الجبل: "طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، **مِنْ أَجْلِي**، كَاذِبِينَ" (مت ٥ : ١١).. وهو ألم اختيارى.. كما أشار إليه الرب فى كلامه مع التلاميذ.. بقوله: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ

وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (مت ١٦ : ٢٤).

وكلـــمة أراد، تفيـــد أن حمل الـــصليـــب، وتحمل آلامه وتبعاته، هو أمر اختيارى يتم بإرادتنا.

مع ملاحظة أن هناك فرقاً بين الصليب والشوكة(٣).

الشيطان وشرّه

"إِبْلِيسُ.... ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِـنَ الْبَدْءِ.... لَيْسَ فِيهِ حَق.... لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ".

(يو٨:٤٤)

رأيـنا أن عوامل الأذى والضرر المؤديـة إلى الألم لم تكن موجودة فى الـخليـقة قبل السـقوط.. وإنما برزت بعد دخول الخطيـة إلى العالم، ومعها لعنة الأرض.. وما دخول الخطيـة إلى العالم إلا بمكيـدة الحية القديـمة؛ إبليس؛ أى الشيطان.

والسـؤال الآن: كيف وُجد الشيطان؟.. ومن الذى أوجده شيطاناً؟.. وهل الله خلقه بهذا القدر من السـوء والشر.. فهو **الشرير** (يو ١٧ : ١٥).. **قتال الناس** من الـبدء.. **الـكذاب**، وأبو كل كذاب (يـو ٨ : ٤٤).. إلـى آخر صفاته وأعماله الشريرة.

الإجابة: لم يخلقه الله هكذا بهذا السـوء.. ولا خلقه شيطاناً شريراً.. وإنما خلـقه رئيـس ملائكة رائعاً.. ملآن حكمة (داخلـيـاً) وكامل الجمال (خارجيـاً) (حز٢٨:١١-١٩).. ومن بهائه، يـوم خلقه، يسـميه الكتاب: "زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ" (إش ١٤ : ١٢).

خُلـق كروبـاً.. أى ملاكاً.. من "ذوى الأمجاد" (يـه ٩).. خُلـق كروباً منبسـطاً.. أى فارداً أجنحته.. عكس السـرافيـم الذيـن غطوا وجوههم وأرجلهم بأجنحتهم حتى لا يروا مجد الجالس على الكرسـى العالى (إش ٦ : ٢).. بل كان معايـنا حضرة الله الناريـة، المشبهة بحجارة النار.. بدون حجاب يغطى وجهه.. وكان كروباً مظلـلاً؛ أى متمتعاً بالحمايـة (مز٩١:٤).. ويـصفه النبى فى مرثاته

عليه: "أَنْتَ **كَامِلٌ** فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ **خُلِقْتَ** حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ" (حز٢٨:١٥).

أى إثـــم هذا الذى وُجد فيه؟.. إنه **الكبرياء**.. لقد أراد أن يرفع كرسيه فوق كواكب الله.. ويصعد فوق مرتفعات الســــحاب.. ويصير مثل العلى (إش١٤:١٢-١٧).. فــسقط.. وطُرح من جبل الله إلى الأرض.. منحدراً إلى الهاوية.. إلى أسافل الجب (حز ٢٨ : ١٦ & إش ١٤ : ١٣،٢٤).

أراد أن يـــجلس على جبل الاجتماع.. رمزاً لعرش الله.. فطُرح من جبل الله.

منحدراً – فى البدايـــة – من الســماء إلى فضاء الكون الفســيح (شاملاً الأرض.. شيـــطاناً شريراً.. ولكن حراً طليقاً صائراً لله خصماً عنيداً.. مناوئاً له – فكراً – ومقاوماً له – عملاً – يتلمظ لأى شئ من خليقة الله، ليتلفه ويفسده.

ثم منحدراً – مســتقبلاً – من الهواء إلى الأرض (رؤ ١٢ : ٩).. ثم من الأرض إلى الهاوية (رؤ ٢٠ : ٣).. ثم – فى النهاية – من الهاوية إلى بحيرة النار والكبريت (رؤ ٢٠ : ١٠).

وتجاوزاً عما يــكون الشيـــطان قد عمله منذ لحظة ســقوطه وحتى خلق الإنســـان – إذ أن الكتاب تجاوز عن هذا ولم يــــذكره صراحة – نجد أن الشيطان بمجرد خلق الإنســـان ســـارع هذا الماكر – فى ثيـــاب الحية – الأحيل من جميع حـــيوانات البرية (تك ٣ : ١) إلى إغرائه بالتعدى على وصية الله (تك ٣ : ٤،٥).. فانساق المسكين وسقط.. وكان ما كان (تك ٣ : ٦).

وبعد أن كان آدم متسلطاً على كل شئ فى الأرض (تك١:٢٦، ٢:١٩)[٤]، اســـتحوذ الشيطان منه على هذا السلطان الذى منحه الله له (تك ١ : ٢٦).. وأصبح الشيطان **رئيساً لهذا العالم** (يو ١٢ : ٣١ & ١٤ : ٣٠).

وبعد أن كان آدم متسلطاً على كل ما فى الفضاء (مز ٨ : ٣ ، ٦)، استحوذ الشيطان منه على هذا السلطان وأصبح **رئيس سلطان الهواء** (أف٢:٢).

كما أصبح أيضاً – من الناحية الأدبية – "إِلهُ هذَا الدَّهْرِ" (٢ كو ٤ : ٤) أى المسيطر على غير المؤمنين لإعماء أذهانهم.. وإغلاق بصائرهم.. "لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ" (الشاهد السابق).

وما هو المنتظر من الشيطان بهذه السلطة الثلاثية؛ كرئيس لهذا العالم.. وكرئيس لسلطان الهواء.. وكإله لهذا الدهر؟

إنه بهذا السلطان المثلوث، ابتدأ منذ سقوطه يعيث فساداً (أدبياً).. وخراباً (حرفياً).. وتدميراً (بيئياً).. وقتلاً (بشرياً).. فى هذا العالم الموبوء بسبب سلطانه.. وفى هذه الأرض الملعونة بسبب الخطية.. (ولكن بسماح من الله، كما سنرى).

أما متى خُلق؟.. فليس لدينا إعلان بهذا التوقيت.. إلا إننا نعلم أنه خُلق قبل آدم وحواء.. بدليل إغوائه لهما.. وإذ لم يذكر فى قائمة المخلوقات فى أيام الخليقة الستة، لذا فهو مخلوق أيضاً قبل الأيام الستة.

سؤال آخر: يقول قائل: من أين أتت الكبرياء للشيطان والرغبة فى أن يصير مثل العلى؟.. هل خلقه الله وبداخله هذه الكبرياء؟.. وهل يخلق الله شيئاً كهذا؟. نقول: كلا بالطبع.. لا الكبرياء.. ولا أى شر كان فيه يوم خلقه الله ملاكاً "خَاتِمُ الْكَمَالِ" (حز ٢٨ : ١٢).. ولولا ذلك ما أمكنه حينئذ من الدنو إلى عرش الله.. والتمشى بين حجارته النارية.. طاوياً فى نفسه – فى ذات الوقت – هذه الكبرياء.. والرغبة فى التمرد على الله.. بل كان ملآن حكمة، وليس كبرياء.. وكان أيضاً كامل الجمال، وليس القبح.. يعكس بالأحجار الكريمة المرصع بها، لمعان حجارة النار الإلهية (حز٢٨:١٢-١٥).

ما الأمر إذا؟.. ســؤال منطقى.. وللإجابة عليه نقول أن الملائكة جميعها مخلوقات.

وحيـــث أنها مخلوقات فهى ليســت معصومة فى ذاتها من الخطأ.. لأن العصمة لله وحده.

ولأن الشيطان بالتالى غير معصوم.. فقط سقط عندما ارتفع قلبه، من شدة ابتهاجه بجماله.. وإذ بثّ تجارته (أفكاره الباطلة)، اشتراها منه قطاع من الملائكة.. فاتبعوه.. وملأوا جوفه ظلماً، بمدحه وتعظيمه (حز١٦:٢٨).. وسقطوا معه.

يــقول قائل: حيــث أن الأمر كذلك، فجميـــع الملائكة إذ ذاك معرضون لــلسقوط.. فى أى وقت.. إن آجلاً.. أو عاجلاً.. ما داموا غير معصومين.. المسألة إذاً مسألة وقت يمضى، حتى يأتى يوم يكون فيه جميع الملائكة قد سقطوا.

نعم.. **هذا صحيح**.. لولا

لولا ماذا؟

لولا أن الله اختار **بعضاً منهم**.

الملائكة المختارون

"أُنَاشِدُكَ أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَالْمَلاَئِكَةِ الْمُخْتَارِينَ".
(١تى ٥ : ٢١)

يكتب لنا الرسول بولس عن هؤلاء الملائكة.. وعن كونهم مختارين، بقوله لابنه الروحى تيموثاوس: "أُنَاشِدُكَ أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَ**الْمَلاَئِكَةِ الْمُخْتَارِينَ**...." (١ تى ٥ : ٢١).

هناك إذن ملائكة **مختارون**.

هل هم مختارون للحياة الأبدية – مثلا – كاختيار الله لبعض البشر؟.. كلا طبعاً.. لأنهم خلائق نورانية.. منحها الله – **منحاً** – امتياز عدم الموت، الغير مملوك لها – **أصلا** – بل المملوك لله وحده (١ تى ٦ : ١٦).. لذلك "لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا" (لو ٢٠ : ٣٦).

إذن، لأى شئ هم مختارون؟.. إنهم لن يكونوا مختارين لشئ، إلا لعدم **السقوط**.. لهذا يسميهم الرب: "**الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ**" (مت ٢٥ : ٣١).

وبالتالى يمر الزمن وهم صامدون ضد السقوط المفترض حدوثه منهم.. ومن باقى الملائكة.. ومن جميع المخلوقات العاقلة.

وبالاختصار هذه الملائكة **نوعان**:

النوع الأول: السرافيم؛ ومعناها "اللامعون".. وهؤلاء هم المختصون بتسبيح الجالس على العرش، والسجود له (عب١:٦).. كما ولإعلان بشرى الغفران لمن يحتمى فى الذبيحة كإشعياء (إش ٦ : ١ – ٧).. وغير ذلك.

الـــنوع الثانى: الكروبيـــم؛ ومعناها "مركبات للركوب".. وكما كان ملوك الـقدماء يستخدمون مركباتهم الحربية فى الحرب، كفرعون (خر ١٤ : ٦)، يستخدم الله الكروبيـــم فى إعلان غضبه على الشر، وتنفيذ دينونته على الأشرار.. فقيل عن الله أنه "**رَكِبَ** عَلَـــى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَـاحِ" (مز ٧٨ : ١٠).. ومثال ذلك كثير.. على باب الجنة (تك٣:٢٤).. وفى الخيمة (لا ١٦ : ٢ - ٢٤).. وفى الهيكل (٢ أخ ٣ : ١٠ - ١٣).. وغير ذلك.

وهـذان النوعان، يتم فيهما القول: "بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ" (مز ١٠٣ : ٢٠).

كما أن "**جَمِيـــعُهُمْ** أَرْوَاحًا خَادِمَةً (لله) مُرْسَـلَةً **لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ**" (عب١:١٤).

الملائكة الأشرار

"أَرْسَـلَ عَلَيْهِمْ....، جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ".

(مز ٧٨ : ٤٩)

كما أن هناك ملائكة قديســين؛ هم **المختارون**، هناك أيضاً **ملائكة أشرار**؛ هم **غير المختارين**، الذين ســقطوا، لا لشئ إلا لأنهم غير معصومين.. إذ هم **غير مختارين** لهذه العصمة.

ما هى أنواع الملائكة غير المختارين؟

لا نـستطيع أن نتداخل فيما لم ننظره، عن الملائكة - عموماً - وعن غير المختارين منهم - خصوصاً.

لكن على قدر ما أعلن لنا الكتاب، نجد أنها ثلاثة فئات.. أو ثلاثة فرق.

الـفئة الأولى: الملائكة الساقطون **الأحرار**.. وهم إبليس؛ الشيـطان، وملائكته.. وقد سبقت الإشارة إليهم.. وكانت خطيتهم التى تسببت فى سقوطهم، هى **الـكبرياء**.. وهم - كما رأينا - أحرار.. يتسلطون فى دائرتين.. دائرة هذا العالم - من ناحية - وتحت لواء رئيســهم؛ إبليس (مت ٤ : ١)؛ بصفته "رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ" (يـو ١٤ : ٣٠).. ودائرة الهواء - من الناحية الأخرى - ورئيسهم أيضاً هو ابليس نفســه؛ ولكن بصفته "رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ" (أف ٢ : ٢).. ويجمل الرسول هاتين الدائرتين فى وصف الشيطان بأنه "إِلهُ هذَا الدَّهْرِ" (بشقّيه) (٢ كو ٤ : ٤).

ويســمى الكتاب هذا النوع بـ"الشياطين" (مت ٧ : ٢٢)؛ أى المقاومون.. وبـ"الأرواح النجسة" (مر١ :٢٧).. والأرواح الشريرة (أع١٩ :١٢).. وهم تحت قيادة رئيسهم الأعلى؛ إبليس.

الفئة الثانية: الملائكة الساقطون، **المقيدون تحت الظلام بقيود أبدية** (يه٦).. فى سلاسل الظلام مطروحين.. ومسلَّمين محروسين للقضاء (٢بط٢:٤).

الفئة الأولى، كانت خطيتهم الرغبة فى **الارتفاع** بمركزهم (إش ١٤ : ١٣،١٤).. وبالطبع **لم يستطيعوا**.. بل سقطوا.. أما الفئة الثانية، فعلى العكس، كانت خطيتهم هى الرغبة **فى النزول** – لا الارتفاع – بمركزهم.. وقد **استطاعوا** – فالنزول أسهل – فهم لم يحفظوا رياستهم (الملائكية)، بل تركوا مسكنهم؛ أى الحالة التى كانوا عليها، والمركز النورانى الخاص بهم.. ونزلوا عن هذه الحالة، وهذا المركز (يه٦).. فوقعت عليهم الدينونة المذكورة.

الفئة الثالثة: هم الأربعة ملائكة المقيدون – إلى أجل مسمى – عند النهر العظيم الفرات.. "الْمُعَدُّونَ – من الله – لِلسَّاعَةِ وَالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ وَالسَّنَةِ، لِكَيْ يَقْتُلُوا ثُلْثَ النَّاسِ" (رؤ ٩ : ١٤،١٥).

كيف نعرف أن هؤلاء الأربعة غير مختارين؟.. لثلاثة أسباب.

السبب الأول: لأنهم مقيدون.. فكيف يكونون مختارين وقد قيدوا؟.. أم هل الله اختارهم لتقييدهم؟.. كلا بالطبع فاختيار الله يتفق مع مقاصده الصالحة.. ولا يمكن أن يكون اختياراً لتقييدهم.. بعدما خلقهم أحراراً.

السبب الثانى: لو كانوا مختارين، وبالتالى يجوز للرسول بولس مناشدة ابنه تيموثاوس أمامهم.. فأين كان من المفترض أن يتواجدوا وقت المناشدة؟.. وهل كان يمكن أن يناشده أمام كائنات روحية مقيدة تحت الظلام؟.. وأين؟.. عند نهر الفرات، فى العراق.. بينما بولس مسجوناً فى رومية.. وابنه تيموثاوس فى أفسس.

أما مناشدة بولس لتيموثاوس.. فإن كانت أمام ملائكة.. فهم الملائكة القديسون.. الذين بإمكانهم أن يتواجدوا حيث بولس وتيموثاوس.

السبب الثالث: لو كانوا مختارين، لما احتاجوا إلى لُجُمٍ، أو قيود، أو كبَّاحات (فرامل) يستخدمها الله معهم لتنظيم تحركهم.. ذلك لأن الملائكة المختارين مكتوب عنهم: "بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، **الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ**" (مز ١٠٣ : ٢٠).. لا الفاعلين أمره عند فك قيودهم.

أما لماذا هم مقيدون؟.. هل فقط كنوع من الفرامل.. أم لأسباب أخرى؟.. هناك آراء فى هذا.. لامجال لذكرها.

أما لماذا سيفكُّون؟.. فنحن نعلم.. إذ يخبرنا الكتاب أنهم معدُّون لذلك الوقت، حتى يُفكوا من قيودهم، ويخرجوا – كالمارد الخارج من قمقمه.. فى القصص الخيالية – ليقتلوا ثلث الناس.. ولن نتوقف لتفسير المعنى النبوى لهذا الجزء.. إذ هو خارج موضوعنا.. وهؤلاء الأربعة ملائكة فى رؤيا ٩، هم فى مقابل الأربعة المذكورين فى رؤيا ٧.. الأولون أشرار، ومقيدون.. والآخرون قديسون، وأحرار.

هذا ما نعرفه عن الملائكة – وهو قليل – "لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ" (١ كو ١٣ : ٩).. أما ما لسنا لعرفه – وهو بالطبع كثير – فلن نقف عليه إلا عندما نصل إلى المجد.. وقتها سنكتشف ماهية "كُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ(٥)، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ" (رؤ ٥ : ١٣).

وبهذا نكون قد علمنا لماذا الشيطان.. ولماذا سقط.. ومن أين أتاه الشر.

والآن نعود لنسأل: هل معنى هذا أنه طالما أن الشيطان (النوع الأول من غير المختارين) ساقط وشرير، وفى الوقت نفسه حر طليق، فإنه يمارس شروره، ويحدث أذاه، دون ضابط أو رابط.

كلا.

إنه لا يفعل شيئاً إلا بعد أخذ **الإذن** من الله بإحداث الأذى.. ولإتيان الضرر.

وهذا لا ينفى أن الشيطان قد هُزم فى الصليب.. إلا أنه لا يزال حرًّا طليقاً.. كحية دون رأس.. فاقداً قوته.. ولكن محتفظاً بمكايده (أف ٦ : ١١).. كما سيأتى ذكره.

الإذن بالأذى

فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ..». **(أي ١ : ١٢)**

فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا هُوَ فِي يَدِكَ..». **(أي ٢: ٦)**

كلامنا الآن عن الأذى الإلزامى الخارج عن الأسباب السابق ذكرها.. وإنما الحادث لدون سبب واضح.. أو حتى سبب منطقى.. بمنطق البشر.. والذى يندرج كما سبقت الإشارة تحت عنوان: "سر الله" (عا ٣ : ٧ & رؤ ١٠ : ٧).

وهو الأذى الذى يتم بسماح من الله.. وتكون الأداة الفاعلة فيه هى الشيطان.

ماذا يفعل الشيطان؟.. نعلم من قول الرب لبطرس: "هُوَذَا الشَّيْطَانُ **طَلَبَكُمْ** لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ!" (لو ٢٢ : ٣١).. فبداية هذا الأذى هو تحرك من الشيطان **طالباً** المؤمن.. ممن يا ترى يطلبه؟.. إنه يطلبه من مالكه.. ومن هو مالكه؟.. إنه الله.. وهل يوافق الله على تسليم المؤمن ليد الشيطان، لكى يغربله... الإجابة نعم.. لماذا؟.. سنرى.

وإن أردنا أن نقف على القصة من أولها، نجد سؤالين يقفزان أمامنا.

السؤال الأول: كيف يأخذ الشيطان الإذن؟

والسؤال الثانى: لماذا يعطيه الله الإذن؟

الإجابة على السؤال الأول:

ينخرط الشيطان بين "بنى الله" (الملائكة).. ليمثل الجميع أمام الرب (أى١:٦).. لماذا يمثلون؟.. ربما كان ذلك شيئاً شبيهاً بمثول الجنود أمام قائدهم..

فى الطابور اليـــومى، أو الدورى.. لإعطائه التمام.. وتلقى التعليمات.. والإنصات إلى التنبيهات.. وتقديم الطلبات.. إلخ.

وهكذا ذهب الشيطان ذات يوم، وسط زمرة من الملائكة.

يــقف الجميع، والحال هكذا، فيما يشبه وقفة الجنود فى وضع "انتباه".. لا حركة.. ولا كلمة.. ليــبدأ القائد كلامه.. فبالأحرى كثيراً يكون الوقوف فى حضرة الله، **بكل جلال ورهبة.**

لذلك يقف الشيطان صامتا.. لا يســـتطيع أن يبدأ بالتكلم.. فالكلمة **الأولى** هى لله.. إذ لو كانت للشيطان، لحط ذلك من كمال الله وجلاله ومجده.

يبدأ الرب بالتكلم سائلا الشيطان: "«مِنَ أَيْنَ جِئْتَ؟»" (أى ١ : ٧).

فيـــجيبه: "«مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا»" (أى ١ : ٨).. وأكثر من الإجابة على الســؤال لا يــزيد.. فهيبة الله تشمل المشهد.. وكل شئ فى حضرته بقدر.. وكل كلمة بحساب.. وكل قول بميزان.

لهذا يكتب سليمان: "..قُدَّامَ اللهِ.... لِتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً" (جا ٥ : ٢).

يبادر الرب الشيطان بسؤال:

"«هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّــوبَ؟.. (بمعنى هل تنوى إيذاءه؟).. لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ»" (أى١:٨).

الإجابة الضمنية من الشيطان: نعم.

السؤال الضمنى من الرب: لماذا؟

الإجابة الفعليـــة من الشيـــطان: "«هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟....." إلخ.

السؤال الضمنى من الرب وماذا تريد؟

الإجابة الفعليـــة من الشيطان: "ابْسِـطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ" (أى ١ : ١١).

إجـابة بها من **الألغام** – بلغة العسكرية – أكثر مما بها من **الإقرار بواقع،** ومن **الالتماس بمطلب..** وهى فخاخ مهيـــأة ليقع فيها الرب، فى حال رفضه طلب الشيـطان بإيـــذاء أيوب.. فإما أن يعطيه الإذن بإتيان الأذى.. وإما أن يقع فى هذه الـــفخاخ.. وهنا نرى **الإجابة على الســؤال الثانى..** وهو لماذا يـعطى الله الإذن للشيطان؟.. و**الإجابة** حتى يبطل مفعول الألغام.

وهى خمسة فخاخ.. أو ألغام.

اللغم الأول:

يريد الشيطان أن يقول لله: أنك ســيجت من حول أيوب بحراســـــة، **حتى يـعبدك،** فإن رفعت عنه هذا السياج الحارس **جدَّف عليك..** كأن الله سيج حول أيوب – كنوع من تبادل المصالح.. أو فلنقل الرشوة – حتى يعبده.

فإن كان أيــوب بهذا الحال مأجوراً **ومرتشيـــاً،** كان الله فى المقام الأول آجراً **وراشياً.**

ولو صح أن يــكون أيــوب مرتشيـــاً، فهذا ليس بقضية كبرى.. فهو فى النهايـــة إنســان، يــصيـــب ويخطئ.. لكن أن يكون الله راشياً، فتلك هى **القضية الـكبرى..** أو اللغم الشيطانى **الأول..** وهو لغم مصوب نحو **نزاهة الله..** لذلك فحتى يبطل الله مفعول هذا اللغم، سمح بإيذاء أيوب.

إذ لو منع الله إحداث الأذى لأيــوب.. لقام الاتهام فى وجه الله وثبت، بأنه راشٍ.. وحاشا.

ومــع أنه اتهام باطل، لكن من كمال الله، سمح بحدوث الأذى لأيوب، ليس

فقط لإثبات نزاهة أيوب، الذى اتضح فيما بعد، بل بالدرجة الأولى لتأكيد ما هو قائم بالضرورة، من بر الله، **ونزاهة**.. ليبطل بذلك مفعول هذا اللغم الشيطانى.

اللغم الثانى:

إن كان الله يرشو خلائقه - وحاشا أن يكون الأمر كذلك - لكن إن حدث هذا - **جدلاً** - فمعناه أن الله لا يستحق العبادة لما هو عليه فى ذاته من **كمال مطلق**.. دون أن يقدم لخلائقه مقابلاً لعبادته.. كأن الله **ناقص** فى ذاته وفى صفاته.. وأقل من أن يستحق العبادة والسجود والتمجيد من جميع خلائقه[٦]، إلا بمقدار ما يقدم لهم من الخير.. أو بما يسيج حولهم ضد الشر والأذى.

وهذا هو اللغم الثانى.. وهو مصوب ضد **كمال الله فى ذاته**

ولومنع الله إحداث الأذى لأيوب لقام هذا الإتهام فى وجه الله وثبت، بأنه ناقص.. وحاشا.

ومع أنه اتهام باطل، لكن من كمال الله سمح بحدوث الأذى لأيوب، ليس فقط لإثبات كمال أيوب الذى اتضح فيما بعد، بل بالدرجة الأولى لتأكيد ما هو قائم بالضرورة من **كمال لله** فى ذاته وصفاته.. ليبطل بذلك مفعول هذا اللغم الشيطانى.

اللغم الثالث:

لو حال الله بين الشيطان وبين تنفيذ مراده.. ولم يعطه الإذن بالأذى بعدما طلبه، لكان للشيطان **الخطوة الأولى**؛ وهى طلب الإذن - أو الفعل - ولكان لله **الخطوة الثانية**؛ وهى الرفض - أى رد الفعل.

أو بتشبيه بسيط، لكان الشيطان مثل اللص الذى يشرع فى السرقة، ولكان الله كالشرطى الذى يترصد لهذا اللص.. محاولاً أن يمنعه من ذلك.. أو باللغة الدارجة "يحلّق عليه".. فتكون المبادرة، والحال هكذا - أو **الفعل** - من جانب اللص

وتكون الخطوة التالية - **وهى رد الفعل** - من جانب الشرطى.

وهذا اللغم موجه نحو **جلال الله وكرامته**.. إذ هل يـــتفق مع هذا الجلال وهذه الكرامة، أن يـــقوم الله بدور العســـكرى "فيحلِّق" على الشيطان مانعاً إياه عن الإيـــذاء.. غير مصرِّح له به.. أو غير ســـامح له بإتيانه.. برفضه منح الإذن له.. بعدما طلـــبه.. متخذاً بذلك **الخطوة الثانيـــة**.. قائماً فى ذلك **برد الفعل**.. بعدما أخذ الشيطان المبادرة.. وخطا **الخطوة الأولى**.. قائما **بالفعل**، عندما طلب الإذن؟

ولأن الله كلى الجلال والكرامة، كقوله: "أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْـمِي، وَ**مَجْدِي** لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ" (إش٤٢:٨)، فإذ ســـمح الله بحدوث الأذى لأيوب، إنما كان لتأكيد ما هو قائم بالضرورة **من كرامة لله وجلال**.

اللغم الرابع:

لو منع الله الشيـــطان من إتيان الأذى، أى لم يعطه الإذن بذلك، لكان ذلك **إجراءاً وقائياً** من الله.. والإجراءات الوقائية تُتخذ دائماً بدافع **الخوف**، أو **الحذر**، أو **التحوط**.. تحسُّباً للنتائج السيئة.. ودرءاً للمخاطر المحتملة.

وهو لغم موجه **لسلام الله**.

والحقيقة لدى الله غير ذلك.. **فلا هو خائف**.. **ولا حذر**.. **ولا متحسب** لأية نتائج.. **ولا متحوط** لأية مخاطر.. **فالكلمة الأخيرة له**.. **والورقة الأخيرة فى يده**.

إنـــه يسكن فى سلام تام.. هو؛ "سَلاَمُ اللهِ الَّذِي **يَفُوقُ كُلَّ عَقْل**" (فى٤:٧).. ولا يـــوجد عقل بشرى.. أو ملائكى.. أو إلكترونى.. أو حتى شيـــطانى.. يقدر أن يســـبر عمق هذا السلام.. أو يتخيل مقداره.. أو يدرك مداه.. إذ هو يفوق كل عقل. لذلك فإن هذا اللغم الرابع هو موجه نحو **سلام الله** هذا.

وكأنى بالله يقول للشيطان: [أريد للسفينة أن تسيرنحو الشرق لتصل إلى

المرفأ الأمين.. وأنت يا شيطان تريدها أن تسير إلى الغرب.. معاكسة لما أريده أنا.. سأعطيك الإذن.. وستدفع السفينة دفعاً إلى الغرب.. إلا أن النتيجة هى أن تصل السفينة إلى المرفأ الشرقى حتى لو سارت للغرب بزاوية معاكسة ١٨٠°].

كيف؟.. [لا تسأل.. لأنه لو لم يحدث هذا ما كنت أنا الله.. أنا أجلس فى سلام عميق يفوق كل عقل.. ودون مجهود، أو خوف، أو انزعاج منى؛ فإن "رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي" (إش٤٦: ١٠)]

وإذ سمح الله بحدوث الأذى لأيوب إنما كان لتأكيد ما هو قائم بالضرورة من **سلام لله يفوق كل عقل.**

اللغم الخامس:

يستشف الشيطان، بذكائه، موافقة الله على منحه الإذن بإتيان الأذى.. وأخاله يقول لله – ضمناً: [اتفقنا إذاً – من ناحية المبدأ – على حدوث الأذى لأيوب.. وما دمت قد وافقتنى صراحة – لا ضمناً – على إيذاء أيوب فـ "ابْسِطْ يَدَكَ (أنت) الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ" (أى ١ : ١١).. و"ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ (أنت) وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ" (أى ٢ : ٥)].

وهو لغم موجه إلى **صلاح الله.**

ومنذ متى كانت يد الله – **كلى الصلاح** – تمتد فتؤذى.. إنه حتى الدينونة – وهى حق على جميع الرافضين النعمة.. ويوقعها الله عليهم جزاءاً وفاقاً يستحقونه، طبقاً لعدالته – هى "**عمل الله الغريب**" (إش ٢٨ : ٢١).. فالشر، أو الأذى – حتى لو كان الدينونة – هو أغرب ما يكون عن **طبيعة الله**.. وإصابة البشر بأذى هو أبعد ما يكون عن **يد الله.**

فلا **طبيعة** الله، ولا **يده**، لهما أى علاقة – من بعيد أو قريب – بأى ضرر أو أذى.

ماذا عن **طبيعة الله** (فى هذه الجزئية)؟.. نقرأ: أنه "لأَنَّ الرَّبَّ **صَالِحٌ**، إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ" (مز ١٠٠ : ٥).. وأن "أَعْيُنُ الْكُلِّ إِيَّاكَ تَتَرَجَّى" (مز ١٤٥ : ١٥).. تترجى **الخير** بالطبع لا الشر أو الأذى.. تترجى **الطعام** (مز ١٤٥ : ١٥).. تترجى **القوت** (مز ١٠٤ : ٢٧).. تترجى **العش** (للعصافير مز ١٠٤:١٧).. تترجى **الملجأ** (للوبار – مز ١٠٤:١٨).. فهل يخيب رجاؤهم فى صلاح الله؟.. كلا.. لقد "نَظَرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنَارُوا، وَوُجُوهُهُمْ لَمْ تَخْجَلْ" (مز ٣٤ : ٥).

وماذا عن يد الله؟

بصفة عامة: نقرأ: "تَفْتَحُ يَدَكَ فَتَشْبَعُ (جميع الخلائق) خَيْرًا" (مز ١٠٤:٢٨).. و"تَفْتَحُ يَدَكَ فَتُشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ (من جميع الخلائق) رِضًى" (مز ١٤٥:١٦).

أفتمتد يده بعد ذلك لتصيب من تصيب من خلائقه بالهم والغم.. بالكرب والضيق.. بالضرر والبلا.. إلخ.. حاشا.

وبصفة خاصة: إن **يداً مثقوبة لابن الإنسان** المقام من الأموات – وهو نفسه الله الظاهر فى الجسد – كفيلة بإعادة الثقة.. وإدخال الطمأنينة.. وتسكين السلام، داخل نفر قليل.. فقير.. خائف.. مهدد.. هم تابعوه (يو ٢٠ : ١٩).. دودة من يعقوب.. وشرذمة من إسرائيل (إش ٤١ : ١٤).. مجتمعين فى العلية.. "لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ" (يو ٢٠ : ١٩).. ومِمَّن وَرَائِهم من السلطة الرومانية.

لقد قال لهم سلام لكم.. ومع أن هذا القول فى حد ذاته كاف لإدخال السلام إلى قلوبهم.. لكنه إمعانا فى إيصال هذا السلام إلى نفوسهم.. وزيادة فى إدخال البهجة إلى مهجتهم، "أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ" (يو ٢٠ : ٢٠).. "فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ" (يو ٢٠ : ٢٠).

تربَتْ "يَدَاهُ الذهبيتان، المُرَصَّعَتَانِ بِالزَّبَرْجَدِ" (نش ٥ : ١٤).. وشَفَّ جنبه "العاجى الأبيض المُغَلَّفُ بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ" (الشاهد السابق).

فهل تمتد يـده **هذه** إلى أيــوب – أو غير أيوب من تابعيه – لتؤذيه.. أو تؤذيهم.. حاشا.

وكأن الله يـقول للشيـطان: ليســت **يدى أنا**.. بل **يدك أنت** هى التى تمتد بالأذى والضرر.. عندما قال للشيــطان عن أيوب: "هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ (أنت)" (أى ١:١٢).

وإذ أذن الله للشيطان بمد يده هو، لا يد الله، إنما نزّه بذلك يده الطاهرة من الـــوقوع فى هذا الفخ.. وكان لتأكيــد ما هو قائم بالضرورة من **صلاح مطلق لله**.. وأنه "لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا" (يع ١ : ١٣).

وتكررت تجربة أيــوب مرة ثانيـــة – كما ســيأتى ذكره – وفيها قال الله للشيطان: "هَا هُوَ فِي يَدِكَ (أنت)" (أى ٢:٦).

موقف أيوب

"فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُـــخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ".

(أى ٢: ١٠)

من الطبيــعى أن يـــتألم أيوب.. حتى أننا نقرأ، بعد تجربته **الأولى**: "فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْســـهِ، وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ".. إلا أنه "سَــجَدَ، وَقَالَ: «عُـرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَـكُنِ اسْـمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُـــخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِـبْ للهِ جِهَالَةً" (أى١:٢١،٢٢).

وأيضاً بعد تجربته **الثانية**، تقول له إمرأته: "«أَنْتَ مُتَمَســِّـكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ؟ بَارِكِ اللهِ وَمُتْ!». فَقَالَ لَهَا: «تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ." (أى ٢ : ٩،١٠).

بهذا الموقف نجح أيوب.. إلا أنه يظهر ويبين بوضوح أن الله القدوس "هُوَ أَيْضًا حَكِيمٌ وَيَأْتِي (أو يسمح) بِالشَّرّ" (إش ٣١ : ٢).. وأنه كان على حق - كما هو دائماً - فى كل ما سمح به لأيوب.

على أن العاقبة كما - ســيــأتى ذكره - كانت خيراً لأيوب، بما يتفق مع **صلاح الله.. وليس فقط حكمته.**

الخلاصة

* الأذى الإلزامى دونما ســـبب واضح لنا - حتى الآن - هو سر، إنما يندرج تحت عنوان "سر الله".

* الأداة المباشرة الفاعلة لحدوثه هو الشيطان.

* الشيطان يطلب المؤمن من الله لكى يغربله بالأذى والألم.

* الله يســـمح للشيطان بذلك لكى يبطل ألغام الشيطان الخمسة الموجهة إلى:

١- نزاهة الله
٢- كمال الله
٣- جلال الله
٤- سلام الله
٥- صلاح الله

* وخلاصة الخلاصة: أن ما يــصيـــبنا من أذى إلزامى، غير مفهومة أســـبابه، إنما هو إنعكاس لما يحدث فى الســـماء بالدرجة الأولى قبل - أو دون - أن يكون لسبب خاص بنا

* وهــذا لا ينفى أن هناك خيراً يطالنا فى النهاية - فى الحلقة الأخيرة - كما سيأتى ذكره - أيما كانت أسباب هذا الأذى.. إلزامية كانت أم اختيارية.. أدركنا السر.. أم استمر سراً، لا ندركه.

أمثلة من الكتاب

"فَـهذه الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالاً، وَكُتِبَتْ لإِنْذَارِنا نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ".
(١ كو ١٠ : ١١)

سنمر معاً – بمعونة الرب – على بعض – وليس كل – الأمثلة الكتابية.. ونرى كيــف كانت الورقة الأخيــرة – فيــها جميعاً – هى فى يد الله.. يحتفظ بها لنفسه.. ليبرزها فى النهاية..معلناً ومقدّماً – من خلالها – الخير للذين يحبون الله.

المثال الأول : موسى والشعب

المثال الثانى : يوسف

المثال الثالث : أيوب

المثال الرابع : بطرس والتلاميذ

المثال الخامس : المثال العظيم

المثال السادس : المثال الأخير

موسى والــشـعب

"بِالإِيمَانِ (موســى) تَرَكَ مصرَ غَيْرَ خَائف مِنْ غَضَبِ الْـمَلِكِ،لأَنَّهُ تَشَدَّدَ، كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لاَ يُرَى".

(عب ١١ : ٢٧)

عـندما طلب موسى - رجل الله (تث ٣٣ : ١)، ونبيه (تث ٣٤ : ١٠) - من الرب آية تدلل على صدق إرساليته لإسرائيل، أعطاه الرب ثلاث آيات.. تناولنا فى أعداد سابقة اثنتين منهم[٧].

وفى هذا العدد سنتناول الآية الثالثة (وهى الأولى فى الترتيب الذى أُعطى لموسى)؛ وهى طرح موسى عصاه إلى الأرض، وانقلابها حية[٨].

لقد سأل الرب موسى: "«مَا هذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصًا». فَقَالَ (الرب): «اطْرَحْهَا إِلَى الأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَــى مِنْهَا". (خر ٤ : ٢ - ٤).

وبدورنا نســأل: ما الذى تمثله هذه العصا.. حتى يختار الرب أن يستخدم تحولها، كآية؟

إنها تمثل السلطان.. لماذا؟

من التاريخ القديم، نرى الرعامســة والتحامســة فى مصر، وغيرهم من الملوك القدماء فى غير مصر، يمســكون فى أيديهم - دون الرعية - هذه العصا؛ عصا المُلك وصولجانه.

وفى التاريخ المعاصر توجد عصا "المارشالية".. يمســكها المارشال، أو الملك، فى يده[٩].

وفى المكتوب، نجد أن هذه العصا كانت فى يد أحشويرش الملك.. وكانت قضيباً من الذهب (أس ٤: ١١ & ٥: ٢).

أما عن الرب، فنقرأ عن هذه العصا عند مجيئه مستقبلاً لتأكيد سلطانه فى هذا العالم، قول الله للإبن: "تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. (وليس من ذهب.. فيما يتماشى مع كون السلطان فى ذلك الوقت المستقبلى هو **للدينونة** على الأرض) مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ" (مز ٢ : ٦)

وبعد دينونة العالم هذه، نقرأ عن أساس ملك الرب وحكمه: "**قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ** وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ" (مز٤٥: ٦،٧).. فلا يذكر هذه المرة أن القضيب من حديد.. إذ قد تمت الدينونة.. ولم يتبق إلا قضيب الاستقامة (المعنوى) هذا.. فيما يشير إلى المبادئ المؤسس عليها مُلكه؛ وهى البر والعدل والاستقامة.. بعد إبادة المقاومين له، والقائمين عليه بقضيب الحديد (مز٢: ٢،٩).

العصا إذن (أو القضيب) نرى فيها (أوفية) سلطان الله وصولجان حكمه.

العصا فى يد موسى – ممثل الله وقتها – إشارة للصولجان أو السلطان فى يد الله.

إن **رفعها** موسى (خر١٤: ١٦).. أو **ضرب بها** (خر١٧: ٦) كان ذلك إشارة لسلطان الله المباشر.. وتأكيداً لكون هذا السلطان مطبَّقاً وممارساً فى العالم.. وقد حدث هذا أكثر من مرة.. فى أيام موسى.. وقبلها.. وبعدها.. كما سيأتى ذكره.

ففى أيام موسى نقرأ قول الرب له: «قُلْ لِهَارُونَ: خُذْ **عَصَاكَ**[١٠] **(ممسكاً بها) وَمُدَّ يَدَكَ** عَلَى مِيَاهِ الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى أَنْهَارِهِمْ....، وَعَلَى كُلِّ مُجْتَمَعَاتِ مِيَاهِهِمْ لِتَصِيرَ دَمًا. فَيَكُونَ دَمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ (حتى) فِي الأَخْشَابِ وَفِي الأَحْجَارِ» (خر ٧ : ١٩).. ففعل موسى هكذا.. "فَتَحَوَّلَ كُلُّ الْمَاءِ (مصدر الحياة) الَّذِي فِي

الـــنَّهْرِ دَمًا (إشارة للموت). وَمَاتَ الســَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَأَنْتَنَ النَّهْرُ، فَلَمْ يَــقْدِرِ الْـمِصْرِيُّـونَ أَنْ يَـشْــرَبُــوا مَاءً مِنَ الـــنَّهْرِ. وَكَانَ الـــدَّمُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (خر٧: ٢٠،٢١).

إنه ســلـــطان الله مطبقاً بصورة مباشرة فى القضاء الفورى.. ممثلاً فى **العصا التى ضرب بها موسى النهر** (خر ١٧ : ٥).

مرة أخرى نقرأ قول الـــرب لموســـى: "**ارْفَعْ أَنْتَ عَصَاكَ**(١٠) وَمُدَّ يَـدَكَ (بالعصا) عَلَى الْبَحْرِ **وَشُقَّهُ**" (خر ١٤ : ١٦).. "فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيـــحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً **وَانْشَقَّ الْمَاءُ**" (خر ١٤ : ٢١).. وانفتح طريق فــيه ليعبر الشعب "فِي الْبَحْرِ الأَحْمَرِ كَمَا فِي الْيَابِسَةِ" (عب ١١ : ٢٩).. "الْبَحْرُ رَآهُ فَهَرَبَ. الأُرْدُنُّ رَجَعَ إِلَـــى خَلْفٍ" (مز ١١٤ : ٣).. والعكس صحيـــح.. عندما مد موسى يده بالعصا، رجع الماء على المصريين (خر١٤: ٢٦).

إنـــه **سلطان الله**، الذى من أمامه تقفز الجبال – مندفعة – والآكام كحملان الغنم – متزاحمة (مز ١١٤ : ٤).

إلا أنه ســلطان الله، فقط حيــن يــطبق بصورة مباشرة فى هذا العالم.. مرموزاً إليه بالعصا مرفوعة فى يد موسى.

ومرة أخرى نرى هذا الســـلطان مطبقاً بصورة مباشرة، **ممثَّلاً فى العصا فى يـــد موســـى** عندما قال لـــه الله: "خُذْ.... **عَصَاكَ** الـــَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا النَّهْرَ.... فَتَضْرِبُ الـــصَّخْرَةَ فَيَــخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِـيَـشْرَبَ الـــشَّعْبُ. فَفَعَلَ مُوسَـــى هكَذَا" (خر١٧: ٥،٦).

ضُربت الصخرة (دون ذنب جنته) ففاضت الميـــاه.. "وَالصَّخْرَةُ (روحياً) كَانَتِ الْمَسِيحَ" (١ كو١٠: ٤).. الذى "ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي" (إش٥٣: ٨).

وهنا نرى **سلطان الله فى إدانة الخطية**، مطبقاً على المسيح "صخر الدهور" (إش٢٦:٤).. فى موته النيابى.. وهو "الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ" (١بط٣:١٨).. "فَالله إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ" (رو٨:٣).

وقد شرب الشعب من الصخرة الحرفية بعد ضربها.. فيما يشير إلى إتاحة الشرب من "مَاءِ الْحَيَاةِ" (يو٧:٣٧ & رؤ٢١:٦).. بعد موت المسيح النيابى[١١].

هذا عن وجود العصا فى يد موسى.. فماذا عن **طرحها** أرضاً؟.. إنه يشير إلى أن **الله قد حجب سلطانه المباشر**.. ولم يعد يمارسه بطريقة فورية.

وقد حدث هذا أيضاً أكثر من مرة.. فى أيام موسى.. وقبلها.. وبعدها.. كما سيأتى ذكره.

ففى أيام موسى طرحت العصا أرضاً.. والسؤال الآن: هل يُطرح ما يشير إلى سلطان الله أرضاً؟.. الإجابة: نعم.

إذن ربما كانت النتائج مبشرة بخير عميم.. طالما تم ذلك بأمر من الرب.. كلا.. إننا نقرأ "فَصَارَتْ (العصا) حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا" (خر٤:٣).. فياللبشاعة والرعب.

ما معنى هذا؟.. معناه أن السلطان عندما يطرح – بسماح من الله – تتلقفه الحية.. فينتقل إليها.

ولما كانت هذه الحية صورة للحية القديمة (رؤ٢٠:٢)؛ إبليس – بصفة عامة – وصورة لفرعون بالنسبة للشعب القديم – بصفة خاصة – لذلك فكأن الله يقول لموسى: فرعون هو هذه الحية[١٢].. وقد أمرتك بطرح العصا إلى الأرض.. فيما يشير إلى كونى سمحت – لسبب أو لآخر[١٣] – بتسليم سلطانى إلى فرعون

فــى مواجهتك أنت وشعبك.. أو تسليمه للشيطان فى مواجهة المؤمنين عامة.. وذلك بكامل موافقتى.. فأنا الذى أمرتك.

وهكذا تم طرح العصا.. وانتقل الســلطان إلى الحيـــة.. تصول وتجول.. **وموسى** رجل الله ونبيه خائف ومحبط وهارب منها.

ويـــصول فرعون ويجول.. **والشعب** - قديماً - فى عبودية وذل.. ضيق وأنين.

ويـــصول الشيطان ويجول.. والمؤمن - حاليًّا - فى مواجهة ســماح الله للشيطان بإيذائه، مثل موسى فى مواجهة الحية.. ومثل الشعب فى مواجهة فرعون، مضغوط.. ومتألم.. ومحبط.. وفى أحسن حالاته، صائم ومصلٍّ.

وضع لا يــبشر بالخيـــر.. فهل هو كل الأمر؟.. كلا.. إنها إحدى حلقات السلسلة.. وليست الحلقة الأخيرة.

كيـــف نعلم؟.. لأن الإذن بطرح العصا أرضاً لم يكن إذناً مؤبداً.. بل هو إذن محدد.

ماهى حدوده إذن؟.. إنها حدود زمنيـــة.. نســتشف هذا من قول الـــرب لموسى **لاحقاً**.. أى بعد فترة زمنية - طالت أو قصرت - مد يدك **وامسكها**.

لماذا؟.. حتى تعود - ثانيـــة - عصا فى يدك يا موســـى.. فيما يشير إلى عودة السلطان المباشر إلى يد الله.

إذن طرح السلطان إلى الأرض ليس أمراً مقضياً قضاءً ممدوداً.. بل كان، مثل طرح العصا إلى الأرض، سماحاً موقوتاً.

إذ كما طُرحت العصا أرضاً لحيــظة، عادت ثانيـــة بكل جلال إلى يـــد

موسى.

وكما استعبد فرعون الشعب مغتصباً السلطان - بسماح من الله - سيُسحب السلطان منه.. بل ستُسحب منه الحياة بجملتها.

وإن عدنا للوراء قليلاً (مع موسى)، سنرى أن حية موسى - فى حادثة سابقة لغرق المصريين - قد ابتلعت حيَّات فرعون وسحرته.. هكذا سيُبتلع هذا الفرعون مع مركباته وفرسانه وجيشه - لا فى بطن حية - بل فى قرار اللُّج العميق، وغيابة اليَمِّ البهيم (مز١٣٦:١٥ & خر١٤:٢٨).

وانطلق الشعب أحراراً، فى **حلقة أخيرة**، من عبوديتهم لفرعون.. ملوِّحاً الله، للكل، **بالورقة الأخيرة** فى يده.. وقد عادت العصا مرة أخرى إلى يد موسى رمزياً.

إذن طرح السلطان المباشر إلى الأرض، فى تدبير ما[١٤]، ليس معناه أن الزمام قد أفلت من يد الله.. بل هو تعالى، وإن احتجب فى سمائه - فى تدبير ما - وكان "كَغَرِيبٍ فِي الأَرْضِ، وَكَمُسَافِرٍ يَمِيلُ لِيَبِيتَ" (إر ١٤ : ٨)، إلا أنه - وخلال هذا التدبير عينه - لا يزال - **عظمت قدرته** - يدير دفة الكون من وراء الستار.. والزمام لم يفلت منه لحظة واحدة.. بل متى أراد - **تعالت حكمته** - وطبقاً لـ "الأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ" (أع ١ : ٧) - سحب البساط من تحت أقدام الشيطان - إن كانت، أو بقيت، له أقدام - واسترد سلطانه المباشر المنظور.

فما تسليم السلطان المباشر للحية إلا إلى أجل محدد.. بعده يمسك موسى العصا ثانية.. كأمر الرب له: مد يدك وامسكها.

وكأنى بموسى يتساءل: أأمسكها؟.. كيف؟.. فيرد الرب: "وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا"[١٥] (خر ٤ : ٤).

وكأنى بالله يضيف: لا تخف يا موسى.. إنها الآن تجرى أمامك خائفة مذعورة.. هاربة مهزومة.. مد يدك وامسكها منه.

مد موسى يده وأمسك بذنبها.. فعادت عصا فى يده مرة أخرى كما كانت - بلغة الرمز - أو عاد السلطان إلى يد الله - بلغة الواقع - بما يبشر بخلاص الشعب - وقتها - من فرعون.. وخلاص المؤمن - حاليا - من إبليس (واستعباده) الذى تم فى الصليب.. ثم خلاصه النهائى من كافة ألاعيب الحية القديمة.. العاملة - بسماح من الله - فى ظروفه وتجاربه.

لذلك - وإلى أن يعود السلطان المباشر ليد الله - فإن هذه الحية القديمة (إبليس) لا يجب أن تخيف المؤمن - مهما ترتع، أو تعربد - ذلك لأن رأسها قد سحق فى الصليب.. ولم يبق لها إلا جسمها - الخالى من السم - تصول به وتجول - فى مكايد (أف٦:١١) دون مخاطر.. مما يستدعى القول "قاوموا إبليس فيهرب (هو) منكم (لا أنتم منه، كما فعل موسى)" (يع٤:٧).

وعاجلاً - وليس آجلاً - فإن "إِلهُ السَّلاَمِ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعًا" (رو ١٦ : ٢٠).. كما سبق وسحق الرب رأسه عند الصليب.

وبعودة العصا إلى يد موسى.. وهزيمة الحية النهائية.. وسحق رأسها، نصل إلى الحلقة الأخيرة.. بالنسبة للشعب **تاريخياً**.. وبالنسبة للخليقة **نبوياً**.. إلا أن ما يهمنا فى هذه العجالة هو وصول المؤمن - **اختبارياً**.. فى ظروفه وتجاربه.. وليس نبوياً أو تدبيرياً - إلى الحلقة الأخيرة، من سلسلة الحلقات التى يمر بها.

ستعود العصا - اختبارياً - بالنسبة للمؤمن، إلى يد الله.. بعد فترة تطول أو تقصر.. يجتاز المؤمن خلالها فى حلقات، تكون فيها العصا مطروحة أرضاً.. وإن هى الا ساعة فقط.. أشار إليها الرب، بأنها ساعة "سُلْطَانُ الظُّلْمَةِ" (لو٢٢:٥٣).

ولأنها ســاعة، فلها بدايــة ولها نهاية.. تبدأ بإلقاء العصا أرضاً.. وتنتهى بعودتها إلى يــد موســى ثانية (رمزياً).. فتصير بالنســبة للمؤمن الكلمة المكتوبة: "نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ" (جا ٧ : ٨).

وما دام الله يــحتفظ لنفســه بالورقة الأخيرة، فى أوراق الرواية، فإن "كُلُّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رو ٨ : ٢٨).

ســيصل المؤمن إلى هذا الخير.. أو سيصل الخير إليه.. **اختبارياً**، الآن.. **ونبوياً**، فى مســتقبل قريب.. عندما نملك مع المسيح (٢ تى٢:١٢ & رؤ٥:٢٠).. وقبلها عندما نُخطف لنكون معه كل حين.

ملحوظة: ماذكرناه إنما عن وصول الشعب إلى الحلقة الأخيــرة.. بانتهاء عبوديته لفرعون.. أما اختبار موســى الشخصى، فســنتناوله فى عدد قادم، بعنوان "سر الله".. بمشيئة الرب.

التدابير السبعة

"إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَـمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ". (أف٣:٢)

"لِتَدْبِيـرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَـيْءٍ فِي الْمَسِيحِ". (أف١:١٠)

قبل تناولنا باقى الأمثلة الكتابيـــة، التى تبين أن الورقة الأخيرة هى فى يد الله، من الأهمية بمكان أن نمر مروراً سريعاً على ما يسمى بـ "التدابير".. حتى نرى موقع عصا موسى - رمزياً - فى كل تدبير.. وهل هى مرفوعة فى يده، فيما يمثل سلطان الله مطبقاً.. أم مطروحة أرضاً، فيما يمثل انسحاب الله **الظاهر** من المشهد.

وكلمة تدبير، فى **أحد** اســـتخداماتها الكتابية، تعنى فترة زمنية، محدداً لها مميزاتها الخاصة.

وهذه الكلمة ليســـت من اختراع مفسِّرٍ، أراد أن يضيفها من عنده إلى مفردات الكتاب.. حتى يُشار إلى من يرددها، ويُتهم، بأنه من "**التدبيريين**".

فالحقيقة غير ذلك.. فليس هناك مذهب محدد فى المسيحية، يُدعى أصحابه بـ "التدبيريين".. ذلك لأن الكلمة المذكورة (بمعناها الزمنى، قبل الروحى) وردت فى الـــعهد الجديد مرتين.. فنقرأ عن "تَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ" (أف٣:٢).. و"تَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ" (أف١:١٠).

ولما كان هذا الكتيب يتناول - ضمن ما يتناول - موضوع ســـلطان الله، لذلك فسنرى **موقع هذا السلطان فى كل تدبير منها**.. وهى تدابير سبعة.. ستة منها مرت بها البشرية حتى الآن.. والسابع تدبير مستقبلى.

وبين كل تدبير وآخر حادثة جلية فارقة، نفصل بوضوح بينهما.

الأول، تدبير البراءة:

وتـــميز بعدم معرفة الإنسان الخير والشر.. وكان فى هذه الحالة بريئاً كما خـلقه الله، إذ قال "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (تك١:٢٦).. خالياً تماماً من كل أثر للشر.. وإن كان غيــر معصوم منه.. وقد بدأ هذا التدبير بخلق الإنســان.. ودام حتى ســـقوطه **وطرده من الجنة**.. وهذا هو **الحادث الفارق** الدال على انتهاء هذا التدبير.

وكـــان **سلطان الله** فى هذا التدبير الأول **مباشَراً** (بفتح الشين)؛ أى ممارساً ومطبقاً.. **ومباشِراً** (بكســـر الشين)؛ أى فورياً.. والدليل على كونه مباشَراً ومطبقاً، هو تمشِّى الله فى الـــجنة عند هبوب ريـــح النهار (تك٣:٨).. والدليـــل على كونه مباشِراً وفوريـــاً، هو توقيـــع العقوبة على الحيـــة، وعلى الإنســـان فور الســـقوط (تك٣:١٣-١٩). وقد دام هذا التدبير - تقريباً - حوالى ١٠٠ عام.

وبلغة الرمز؛ فإن العصا - وقتئذ - نراها **فى يد موسى**.

****

الثانى، تدبير الضمير:

وتميز باكتســـاب الإنســـان الضمير، الذى يميز بين الخير والشر، نتيجة الأكل من الشجرة.. وابتدأ بعد ذلك يشتكى ويحتج داخل صاحبه (رو٢:١٥).

وهذا ما حدث مع آدم وحواء.. إذ اختبآ خلـــف الأشجار لعريـــهما.. مَن أعلمهما أنهما عريانان؟.. **الضمير**.. الذى أكتُسب بعد الأكل من الشجرة[(١٦)].

وقـد إبتدأ هذا التدبير بعد السقوط والطرد من الجنة.. **وانتهى بحادث جلىٍّ وفارق؛ هو الطوفان**.. وإنهاء الحياة على الأرض.. باستثناء نوح وعائلته.

وفى هذا التدبيـــر الثانى لم يـــكن ســـلطان الله مباشَراً، ولا مباشِراً على

الأرض.. والدليـــل على ذلك هو ترك الله قايين؛ قاتل أخاه دون عقوبة فورية.. بل على العكس أعطاه علامة لكى لا يقتله كل من وجده (تك٤:١٥).

الأمر الذى يدل على انسحاب **ظاهرىّ لله**، من المشهد.

وهذا ما أدركه شيـــث عندما رأى أن دم أخيـــه (الصارخ من الأرض - تك٤:١٠) قد تركه الله دون أن يــتحرك تحركاً فورياً، منتقماً لهذا الدم البرئ - لا سـيما وأن الدم ملك لله (تك٩:٣-٥ & لا١٧:١٠-١٤).. وقتها أدرك أن سلطان الله غير مطبق بصورة مباشِرة وفورية فى العالم، خلال هذا التدبير.

لذلك لم يحاول شيث أن يثأر لأخيه.. بل خلف الله - **انســحب، روحياً - من المشهد.**

وفى تلك الأيام "ابْتُدِئَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ" (تك ٤ : ٢٦).

وقد دام هذا التدبير **أكثر من ١٥٠٠ ســنة**.. إذ أن الطوفان قد حدث عام ١٦٥٦ من آدم.

وبلغة الرمز، فإن عصا موسى فى هذا التدبير نراها **مطروحة أرضاً.**

****

الثالث، تدبير حكومات الإنسان:

انســحاب الله الظاهرى فى التدبير السابق، شجع على تصاعد وتيرة الشر واســتفحاله، وظهور الطغاة، حتى أن الرب "رَأَى.... أَنَّ شَرَّ الإِنْسَــانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، .... فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْســانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ»" (تك ٦ : ٥، ٧).

كما قال الله لنوح أيــضاً: "«نِهَايَــةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ

امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ» (تك ٦ : ١٣).

فابتدأ القضاء **الفورى** على الشر بالطوفان.... (تك ٧ : ٦).. وبعده سنَّ الله أول دستور دائم يحكم به الإنسان على أخيه الإنسان.. قاضياً بذلك على الشر **قضاءًا فورياً، وبصفة دائمة**، خلال هذا التدبير.. وكان العمود الفقرى لهذا الدستور هو؛ "سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ" (تك ٩ : ٦).

وإن كان هذا التدبير قد ابتدأ بالطوفان، فإنه انتهى بحادث فارق؛ وهو **بلبلة الألسنة** (تك ١١).

وقد دام هذا التدبير **أكثر من ٤٠٠ سنة** (٤٢٨).

وبلغة الرمز، فإن عصا موسى فى هذا التدبير نراها **مرفوعة فى يد موسى**.

****

الرابع، تدبير الوعد:

لا يتوقف شر الإنسان عند تدبير معين.. سواء كان سلطان الله مطبقاً - فى هذا التدبير - على هذا الشر.. أم مؤجل تطبيقه.

لذا نرى الإنسان هنا - فى شره - يحاول أن يغيِّر خطة الله من جهة الخليقة.. فالله أراد للبشر أن **يثمروا ويكثروا ويملأوا الأرض** (تك١:٢٨)، التى "لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا" (إش٤٥:١٨).. فينتشرون فى كل الأرض.. لكنهم أرادوا أن يصنعوا لأنفسهم اسماً **لئلا يتبددوا على وجه كل الأرض** (تك١١:٤).. فلا ينتشروا.. فى مغايرة تامة لخطة الله .. فشرعوا فى بناء برج رأسه يمس السماء (الشاهد السابق).

فبلبل الرب ألسنتهم، و"**بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ**"

(تك١١:٨).. ليبدأ بذلك هذا التدبير الرابع.

وكـالعاة ، ما أن يتم القضاء على الشر.. حتى يبدأ الشر فى دورة جديدة.. يـتنامى فيــها ويزداد، حتى أنه وصل فى هذا التدبير إلى عبادة الشياطين، وتقديم الآباء أولادهم ذبائح بشرية لها، كما تقول الميثولوجيا القديمة.

لينسحب الله من المشهد **الظاهر**، فى هذا التدبير تاركاً "جَمِيعَ الأُمَمِ يَسْلُكُونَ فِي طُرُقِهِمْ" (أع ١٤ : ١٦).. مع أنه، **جلت قدرته**، لا فلت الزمام من يده، ولا ترك نفسه، **تعالت حكمته**، بلا شاهد (أع ١٤ : ١٧).

فـ"ظَهَرَ إِلهُ الْمَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (أع ٧ : ٢).. داعياً إياه **لينسحب خلفه..** تاركاً "أور" وعبادتها الوثنية، ونجاســـاتها. "فخرج (إبراهيم، ملبيا الدعوة) وهو لا يعلم إلى أين يأتى" (أع ١١: ٨).

وطالـــما كان الله غريــبا فى الأرض، فى هذا الـــتدبيـــر، فبدوره "**تَغَرَّبَ (إبراهيــم خلـــف الله) فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيــبَةٌ**" (عب١١:٩).. مدركاً أن سلطان الله المباشِر غير مطبَّق فى هذا التدبير.. آخذاً الوعد بإسحق.

وإسحق نفسه إذ حسده الفلسطينيون (تك٢٦:١٤)، طمُّوا (ردموا) له جميع الآبار التى حفرها عبيد إبراهيم أبيه، وملأوها تراباً (تك٢٦:١٥).

وكلما أعاد عبيد إســـحق حفر بئر منها، نازعهم الفلسطينيون وتخاصموا علـــيها.. مرة، ومرتيـــن (تك٢٦:٢٠،٢١).. فتركهم إســـحق، ليـــحفر بئراً ثالثة (تك٢٦:٢٢)، **دون أن يــحاربـــهم أو يــأخذ حقه عنوة..** مدركاً تمام الإدراك أن سلطان الله المباشِر غير مطبَّق فى هذا التدبير.. وهو لذلك يتبع إلهه.

وقد ابتدأ هذا الـــتدبيـــر بدعوة إبراهيـــم، وانتهى **بموت الأبكار** فى مصر (خر١٢:٢٩-٣١)، **وإدانة آلهة المصريـــيـــن** (خر١٢:١٢)، **وشق البحر الأحمر**،

وغرق جنود فرعون ومركباته (تك١٤:٨) - **كعلامات فارقة بيـــن التدبيرين - ثم نزول الناموس فى سيناء.**

وقد دام هذا التدبير **أقل من ٥٠٠ سنة.**

وبلغة الرمز فإن عصا موسى وقتها، كانت **مطروحة أرضاً.**

****

الخامس: تدبير الناموس:

لما كان هذا التدبير قد تميز بوجود الناموس، لذلك فإننا نرى فيه ســـلطان الله مؤكَّداً بصورةمباشِرة فى الأرض.. لمن لهم الناموس (كاليهود)، فمن أخطأ منهم فى الناموس، فبالناموس يـــدان.. ومن ليس لهم الناموس (كالأمم) فمن أخطأ منهم، بدون الناموس، فبدون الناموس يهلك (رو٢:١٢).

وإن كان قد أُعطى لنوح النص: "ســـافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه" (فى التدبيـــر الثالث)، فإن الناموس قد امتد ليشمل إدانة أخطاء أقل شأناً من القتل.. فنصٌ على أنه: "كَسْرٌ بِكَسْرٍ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنٌّ بِسِنٌّ" (لا٢٤:٢٠).. و"نَفْسٌ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٌّ. يَدٌ بِيَدٍ. رِجْلٌ بِرِجْلٌ" (تث١٩:٢١).

وغير ذلك من أدق الوصايا.. الأمر الذى يؤكد عودة ســـلطان الله، ليطبق تطبيقاً فورياً فى هذا العالم.

ووجود التابوت؛ "**تَابُوتِ الرَّبِّ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا**" (يش٣:١٣)، وســـط الشعب، فى هذا التدبير، كان خير شاهد على حضور الله المباشَر (بفتح الشين)؛ أى القائم.. ووجود لوحى الشريعة داخله (خر٢٥:٢١)، كان خير شاهد على سلطان الله المباشِر (بكسر الشين)؛ أى المطبق فوراً.. فى هذا التدبير.

هل نســـتطيع أن نرى العصا فى يد موسى فى هذا التدبير؟.. **نعم**.. لكن،

بكل أسف.. استمرت العصا الرمزية فى يد موسى طيلة وجود التابوت وسط الشعب.

أما بعد سبى بابل واختفاء التابوت (٢مل ٢٥ : ١٣ - ١٥)، فإننا نرى الله قد "سَلَّمَ لِلسَّبْيِ عِزَّهُ، وَجَلاَلَهُ لِيَدِ الْعَدُوِّ" (مز ٧٨ : ٦١).. وتمت العبارة "إِيخَابُودَ"؛ أى "زَالَ الْمَجْدُ مِنْ إِسْرَائِيلَ" (١ صم ٤ : ٢١).

وبالتالى فإن الله قد انسحب **تدريجياً** من المشهد الظاهر.. لتهوى عصا موسى - بلغة الرمز - شيئاً فشيئاً، من يد موسى.. وصولاً إلى الأرض، متحولة (رمزياً) إلى حية.. فى عنفوان قوتها.. حيث جاءت فرصتها الذهبية إذ ذاك، عندما دنت ساعتها؛ "**ساعة سلطان الظلمة**" (لو٢٢:٥٣)، لتسحق، بكل غدر وخسَّة، عقب نسل المرأة؛ "ابن الإنسان"؛ يسوع المسيح.. لينتهى هذا التدبير بصلب الرب.

وقد استمر هذا التدبير فترتين متواصلتين.. من نزول الناموس (١٤٩١ ق.م.)، إلى سبى بابل واختفاء التابوت (٥٨٦ ق.م.) حوالى ٩٠٥ سنة.. ومن سبى بابل (٥٨٦ ق.م.) إلى صلب الرب (٢٩ م.) حوالى ٦١٥ سنة.. فيكون المجموع **١٥٢٠ سنة**.

ونلاحظ أن الفترة الأولى كانت العصا فيها - بلغة الرمز - **فى يد موسى**.. والفترة الثانية كانت العصا فيها - بلغة الرمز - مطروحة أرضاً.. وليس أدل على ذلك من صلب الرب فى نهاية هذه الفترة الثانية.

ولأن تركيزنا فى هذا الكتيب هو على سلطان الله، فبالنظر إلى **هذا السلطان وموقعه فى العالم**، فإننا نستطيع أن نسحب هذه الفترة (٦١٥ سنة) من التدبير الخامس، لنضمها إلى التدبير التالى (السادس)، حيث نرى انسحاب الله فى هذه الفترة، من المشهد الظاهر، تماماً مثل انسحابه بعدها، فى التدبير السادس.

وبـــبــــدايــــة هذه الــفترة، ابتدأت ما تسـمى فى الــكتاب بـ "**أَزْمِنَةُ الأُمَمِ**" (لو ٢١:٢٤).

ما "أَزْمِنَةُ الأُمَمِ"؟.. إنها الأزمنة المتعاقبة المســتمرة، التى ســلَّم الله فيها الســلــطان إلى الأمم على التوالى.. بدءاً من نبوخذ نصر (٢ مل ٢٥ :٨)؛ أول إمبراطور فى أزمنة الأمم.. وانتهاءً بالوحش المستقبلى (رؤ ١٣ : ١، ٨).

وتشتمل " أزمنة الأمم " على هذه الفترات:

١. فترة من نبوخذ نصر إلى الصليب (٦١٥ سنة).

٢. تدبير نعمة الله (السادس) (أف ٣ : ٢).

٣. سنين الضيقة السبع (دا ٩ : ٢٧).

وبالطبع مادام الســلطان قد سُلم ليد الأمم، فإننا نرى عصا موسى – بلغة الـــرمز – **مطروحة أرضاً**، فى كل هذه الــفترات الثلاث.. وقد انتهى هذا التدبيـــر **بصلب المسيح، كحادث فارق**.

السادس، "تدبير نعمة الله" (أف٣:٢)

بصلب المســيــح، انتهى التدبير الخامس؛ تدبير الناموس.. ليبدأ بعده هذا التدبير، الذى تميز بظهور نعمة الله لجميع الناس (تى ٢ : ١١).

وإن كان تدبيـــر الناموس قد انتهى كفترة زمنية، إلا أنه بصليب المســيح انتهى أيضاً.. **كرمز.. وكمطالِب بالإدانة.. وكتشريع للسلوك**.. كيف؟

١– بصلب المســيح، تمت كل رموز الذبائح والتقدمات التى كانت تقدم لله قــديماً.. إذ "أَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، **قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً**" (أف٥:٢).. وإذ جاء الأصل، **بطُل الرمز (عب١٠:١)**.

٢– بصلب المســـيــح، تمت فيه كل عقوبات الناموس، على النفس التى

تخطئ.. من ثم لم تعد هناك عقوبة - طبقاً للناموس - على كل من يؤمن بالابن، إذ "لاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ" (يو ٥ : ٢٤).. إذ احتمل المسـيح الدينونة نيـابة عنه.. وإذ نُفذت العقوبة فى المسـيـح مرة، ولأن العقوبة لا تنفذ مرتيـن، فقد **انتهت حجة الـناموس كمدَّعٍ** (مطالـبٍ) بالـحق الإلـهى (مت٥:٢٥ & يو٥:٤٥).

٣- بصلـب المسـيـح، صُلب المؤمنون معه (غل٢:٢٠).. وحيـث أن الناموس يـطالب **الأحياء**، ويسـود عليهم (رو٧:١)، وحيث أن المؤمنين بالمسـيـح لم يـعودوا بعد أحياء..، بل **ماتوا** - شرعاً - مع المسـيح (غل٢:٢٠)، ولأنه غيـر مطلوب من الموتى أن ينفذوا الناموس، من ثم انتهت سطوة الناموس، **كتشريع ملزم لهم.**

لـذلك يكتب الرسول "أَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي (أو متنا للذى) كُنَّا مُمْسَـكِيـنَ فِيـهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ" (رو٧:٤،٦).

٤- الذين ماتوا مع المسـيح، نالوا أيضاً الحياة الجديدة، لأنه "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، **فَأَحْيَا**" (غل ٢ : ٢٠).. لا لأستمر مصلوباً وميتاً.. بل لأحيا **حياة جديدة..** لها آلياتها، غير الناموسـية، التى تبعث فى أوصال هؤلاء الذين نـالوا الحياة، القدرة على تنفيذ مطالب إلهية، تفوق مطالب الناموس.. ذلك لأنى لا أحيا أنا.. " **بَلِ الْمَسِيحُ (إذ ذاك) يَحْيَا فِيَّ** " (الشاهد السابق).

كان لابد من هذا التوضيح حتى لا يظن أحد أن النعمة قد ألغت الناموس.. أو أن هناك نسـخاً فى الـكتاب.. فالـناموس قائم، لكننى أنا الذى "مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِـلنَّامُوسِ لأَحْيَـا للهِ" (غل٢:١٩).. لا للناموس.. أو أى ناموس آخر.. إلا "نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ" (رو٨:٢).

وبكل أسـف فإن شر الإنسـان لا يتوقف فى أى تدبير.. وتفكُّر الشعوب بالباطل.. وقيام الملوك والرؤسـاء على الرب وعلى مسـيحه (مز٢:٢)، لا يحده زمان أو مكان.. حتى فى تدبير النعمة.

فمنذ العصر الرسـولى.. ومن أيام الرسـول يوحنا، صار هناك "أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ" (١ يو ٢ : ١٨).

وسـتصل هذه المعاداة – بعد اختطاف الكنيسة – إلى ذروتها بتجمع الأمم كلـها – بقيـادة الوحش– لتحارب المسـيح، الخارج من السـماء على الفرس (رؤ١٩:١١).

ويـبدأ هذا التدبيـر كما رأينا برفض المسـيح وصلبه – إذ كان موجوداً بالجسـد – ويـنتهى بمحاربته، حتى وهوعلى الفرس.. فى مركز القوة، وليس فى ضـعف الجسد.. فالمسيح هو الهدف – فى كل العصور – **فى ضعفه، وفى مجده..** فى غيابه، وفى حضوره.. فياللكراهية والحقد!

وهذا هو الطابع الدامغ لهذا التدبير.. أقصد من جهة سـلطان الله.. وليس نعمته.

فإن أضفنا الفترة الزمنية، منذ سـبى بابل إلى هذا التدبير، تجمع لدينا – كما سـبق ذكره – الحقبة التى تسـمى: "**أزمنة الأمم**".. وفيـها كان – ولازال – التابوت – رمز الحضرة الإلهية وسيادة الله على الأرض كلها – مسلما ليد الأمم.

وفى هذه الـحقبة نرى – بلغة الرمز – عصا موسـى **مطروحة أرضاً..** وكيف لا، والتابوت يسبى فى بدايتها.. والرب يصلب فى وسطها.. ثم يُحارب علناً، فى نهايتها.

إلا أنها سـتنتهى بظهور المسـيح بالمجد والقوة، لإبادة هؤلاء المحاربين

لـــه.. والقبض على زعماء العصيان؛ الوحش والنبى الكذاب.. "وَطُرِحَ الاثْنَانِ حَيَّيْنِ إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ بِالْكِبْرِيتِ" (رؤ ١٩ : ٢٠)[١٧].

وهذه هى **الحادثة الفارقة** بين التدبير السادس والسابع.

أمـــا مدة هذا التدبير السادس فهى **غير محددة**.. وإن كانت بدأت بالصليب ونزول الروح القدس، إلا أن نهايتها مجهولة.. لأن "ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّـــاعَةُ (التى فيــها يــأتى المســيـــح بالمجد والقوة) فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّـمَاوَاتِ" (مت٢٤:٣٦).

السابع، "تَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ" (أف١:١٠)

"مِلْءُ الزَّمَانِ" (غل ٤ : ٤).. غير "ملء الأزمنة".. ما الفرق؟

"مِـلْءُ الزَّمَانِ" هو الفترات من الزمان التى أعطيت للإنسان لكى ينجح فى ما طلبه الله منه.. وهذا يختلف فى كل فترة.. أو بلغة أخرى فإن "مِلْءُ الزَّمَانِ"؛ هو نهاية التدابير التى أُعطيت للإنسان، لكى ينفذ وصية، أو وصايا ما.

وبرجوعنا للتدابير السابق ذكرها، نجد أن منها خمسة تدابير – من الأول إلى الخامس – هى التى أعطيت للإنسان، ليكون تحت مسئولية تنفيذ المطلوب منه.

فشل الإنســـان فى هذه التدابيـــر الخمســـة.. وكان فشله كاملاً وواضحاً.. لاسيما أن رقم خمسة هو رقم المسئولية.

فلما ظهر هذا الفشل لمدة ٤٠٠٠ ســـنة – هى مجموع فترات هذه التدابير الـــخمســـة، جاء "مِلْءُ الزَّمَانِ".. أى إمتلأ كأس الزمان.. زمان امتحان الإنســـان، وثبوت فشله.

"وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا **تَحْتَ النَّامُوسِ**" (غل ٤ : ٤).. لكى:

١- ينجح - **تحت الناموس** - فيما فشل فيه الإنسان - تحت الناموس - وبالتالى، إذ ينجح، ويثبت كماله، يصير مؤهلاً للقيام بعمل الفداء (كالذبيحة الكاملة).

٢- يموت فدية عن الفاشلين فى تتميم الوصايا، ويحمل عقوبتهم التى يستحقونها بسبب فشلهم وعصيانهم.. وبالتالى يحل مشكلة الخطية.. وهذا ما حدث فى التدبير السادس.

أما "**ملء الأزمنة**"، فهو التدبير الختامى، الذى، بعدما يمتلئ كأس الزمان بالتدابير الستة المذكورة، يأتى كسابع، وكمتمم، وخاتم لها.. لا سيما وأن سبعة هو عدد الكمال.

ولأن الورقة الأخيرة دائماً هى فى يد الله - كما رأينا.. وكما سنرى - ولأن "**نِهَايَةُ** أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ" (جا ٧:٨)، لذلك فإن هذا التدبير السابع والأخير، سيحمل فى جنباته الخير المطلق.. والبر المطلق.. والعدل المطلق.. لكل معاصريه.

وسيبدأ هذا التدبير بانتهاء أزمنة الأمم.. وستكون بدايته واضحة وجلية.. فبالإضافة إلى طرح الوحش فى بحيرة النار، باعتباره آخر أباطرة أزمنة الأمم، ومعه النبى الكذاب باعتباره آخر الأنبياء الكذبة.. بالإضافة إلى هذا، ستمتد يد القضاء إلى رأس الأفعى أو الحية القديمة.. لا إلى ذنبها فقط.. إذ كيف سيكون هناك خير وبر.. وعدو كل خير وكل بر، حرٌّ طليق؟

لذلك نقرأ: "وَرَأَيْتُ مَلاَكًا نَازِلاً مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ، حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ" (رؤ٢٠:١-٣)

بعد ذلك يظهر المسيح آتيا بالمجد والقوة ليملك ألف عام.. فى **زمانه هو**؛ لا فى

"أزْمِنَةُ الأُمَمِ" (لـــو ٢١:٢٤).. **وفى ســاعته هو، لا فى** "ســاعة ســلطان الظلمة" (لو ٢٢:٥٣).

وهو ملك السلام والبر.. العدل والخير.. إلخ.

ويستمر هذا التدبير ألف عام، وزماناً يسيراً (رؤ ٢٠ : ٣، ٧، ٩)[١٨].

أين توجد العصا إذاً فى هذا التدبير الأخير؟.. نراها - بلغة الرمز - **تعود إلى يد موســى.. وقد أُمســكت الحية من ذنبها ؛ وطرحت فى الهاوية.. وأُمسك الوحش من قفاه، وطرح فى بحيرة النار والكبريت.. ليعود الصولجان إلى يد الله.. ويعود ســلطانه على هذا العالم مباشَراً ومباشِراً.. مطبقاً وفورياً.. لتصير "مَمَالِكُ الْعَالَمِ** (لا للأمم.. ولا لرئيس هذا العالم؛ إبليس.. بل) **لِرَبِّنَا وَمَسِـيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ"** (رؤ ١١:١٥).

ســيملك على العالم ألف عام.. لكن صفته الملكية ستدوم، وسيستمر ملكاً إلى أبد الآبدين.

بقوة لاســم يسوع — نشـــدو وننشـد
إن الـملائك لـــه — تجثو وتســـجد

هاتوا له التاج الذى — جلَّ عن الـــمثل
وتـــوِّجوه وحده — رباً علـى الـــكل

متى ينتهى هذا التدبير؟

بعد انتهاء الملك الألفى.. سـيُحلّ الشيطان من سـجنه زماناً يسيراً ليجمع الأمم للحرب.. ليـصعدوا على عرض الأرض (أى حرب عالميـــة).. محاصرين القديسين الموجودين فى ذلك الوقت (رؤ ١٩:٧-٩).

وتكون الـــنهايـــة بنزول نار من الســـماء من عند الله (مباشرة) لتأكلهم.. ويـُــطرح إبليس الذى كان يضلهم، فى بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبى الكذاب (رؤ١٩:٩،١٠).

أما مدة هذا التدبير فهى، ألف عام إضافة إلى الزمان اليسير.

ملاحظات حول التدابير

١- لم نتناول بإسهاب مميزات كل تدبير.. بل كان تركيزنا على مدى تطبيق سلطان الله المباشر خلال كل تدبير.

٢- وجدنا أن التدابير ذات الأرقام الفردية (الأول، والثالث، والخامس، والسابع) كان - وسيكون - سلطان الله فيها مباشَراً ومباشِراً، من جهة قضائه على الشر.. أو بلغة الرمز، كانت - وستكون - عصا موسى فى يده.

٣- التدابير ذات الأرقام الزوجية (الثانى، والرابع، والسادس) كان - ولا يزال - سلطان الله المباشِر، غير مطبَّق فيها.. والله محتجباً فيها فى سمائه.. منسحباً من المشهد الظاهر.. وإن كان من خلف الستار يدير دفة الكون.. دون أن يكون الزمام قد أفلت من يده لحظة واحدة.. بل متى أراد بسط، سلطانه هذا "فِي وَقْتِهِ" (إش ٦٠ : ٢٢)؛ وقت الله.. وهنا نرى عصا موسى - بلغة الرمز - **مطروحة أرضاً**.. والدليل الواضح.. هو صلب الرب فى بداية أحد هذه التدابير زوجية الترتيب.. وهو التدبير السادس.

٤- من المهم جداً أن نعرف فى أى تدبير نعيش.. نحن نعيش الآن فى التدبير السادس.. وترتيبه زوجى.. ويقع داخل "أزمنة الأمم".. حيث السلطان فيها فى يد الإنسان.. بدءاً من نبوخذ نصر، أول حاكم فى هذه الأزمنة وانتهاءً بالوحش آخر حاكم.. وفوقهم رئيس هذا العالم.

لذا لا نندهش من معاداة العالم للمسيح ولأتباعه، المحسوبين كـ "غَنَمٍ لِلذَّبْحِ"

(رو ٨ : ٣٦).. إذ يتبعون – الآن – مسـيحاً فى زمان رفضه وصلبه.. ومع أنه ممجد فى الأعالى، إلا أن ساعته لم تأت بعد (يو ٢ : ٤)، فى هذا العالم.

٥- رقم ٦ هو "عَدَدُ إِنْسَـانٍ" (رؤ ١٣ : ١٨).. لأن الإنسان مخلوق فى اليـوم السـادس، والممنوح له السـلطان على كل الخليقة، يوم خلقه، فى هذا اليوم (تك١:٢٨).. لذلك فإن التدبير السـادس يميزه بوضوح – أكثر من غيره – تسليم سلطان الله للإنسان.(١٩)

ومن دقة الـوحى نجد أن نبـوخذ نصر أول حاكم فى أزمنة الأمم صنع تمثالاً ذهبياً (غالباً لنفسـه) "طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ" (دا ٣ : ١).. أى ٦٠، ٦.. بينما الوحش (المسـتقبلى)؛ آخر حاكم فى أزمنة الأمم، نجد أن عدده كما ذكر الكتاب هو"سِـتُّمِئَةٍ وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ" (رؤ ١٣ : ١٨).. أى ٦٠٠، ٦٠، ٦.. وكلها مضاعفات الرقم ٦.

٦- وقد تسلط الأول (نبوخذ نصر).. وسوف يتسلط الثانى (الوحش).. أما جليات فمع ارتباطه برقم ٦، فإنه لم يتسـلط، بل قُتل (١ صم ١٧ : ٤٩ – ٥١).. لماذا؟.. لأن طوله لم يكن ستة أذرع فقط، بل كان ستة أذرع وشبر.

وبنظرة **شاعرية** – لا تفسـيرية – نكاد نرى جليات، وقد أراد بهذا **الشبر** أن يمدد نفسـه أكثر من غيره من أصحاب الرقم ٦، ليجعل نفسه مؤهلاً أكثر منهم للتسـلط.. دون أن يـعلم أن هذا الشبر قد أخرجه عن مدلول رقم ٦؛ رقم تسـلط الإنـسان.. فكأنما – بهذا الشبر – قد تكبر.. والنتيجة هى السقوط.. لأنه "قَبْلَ الْكَسْرِ الْـكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أم ١٦ : ١٨).. "لأَنَّ اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ" (١ بط ٥ : ٥).. فكان سقوط جليات مدوياً.. وهلاكه علنياً.. على رؤوس الأشهاد.

وهـذا يتفق تماماً مع وجود جليات فى التدبير الخامس، غير المسموح فيه

أن يكون السلطان للإنسان.. سواء كان جليات، أم غير جليات!

فلو كان طول جليات ستة أذرع فقط، لبرز لدينا سؤال - دون إجابة - وهو كيف يكون طوله **ستة** أذرع، ثم يعيش فى التدبير **الخامس**، من ناحية.. فلا يتسلط من الناحية الأخرى؟

٧- بمعرفتنا موقع عصا موسى - رمزياً - فى كل تدبير.. أو بالحرى دور سلطان الله، نجد إجابة على أسئلة كثيرة.. بعضها يتعلق بصبر الله على الشر والأشرار.. والآخر على العكس يتعلق بالقضاء الفورى على الشر.. ومن أهم هذه الأسئلة: هل إلهنا دموى؟

إن قلنا حاشا.. جاءنا الرد: كيف إذن يأمر بالقتل فى الكتاب المقدس؟.. إن قلنا أن هذا حدث فى العهد القديم بدءاً من يشوع.. قيل لنا: أليس الكتاب المقدس بعهديه كتاباً واحداً؟

نعم، كتاب واحد.. ولكنه غطى حقبة قدرها ستة تدابير.. وبقى السابع.. وفى كل تدبير منها، كان لله موقف معين فى قضائه على الشر - كما رأينا - وليس القتل لمجرد القتل.

فبدءاً من موسى، ابتدأ التدبير الخامس - كما سبق ورأينا - ورقمه فردى.. وحيث أن التدابير **الفردية** الترتيب، نجد فيها سلطان الله مطبقاً بصورة **مباشرة وفورية**، لذلك نجد الآتى:

أ- **فى التدبير الأول**، طبق الله سلطانه فوراً على آدم بعد سقوطه مباشرة.. وأوقع عليه العقوبة، وعلى حواء، وعلى الحية القديمة.

ب- **فى التدبير الثالث**، طبق الله سلطانه على العالم، بأن بلبل ألسنة سكان الأرض جميعاً "فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ"

(تك١١:٧-٩).

جـ - **فى الــــتدبيـــر الخامس**، نجد ســلطان الله مطبقاً، **أولا:** على الشعب بواســـــطة أحكام الناموس، وأيضاً بواسطة **سيف الأمم**.. **وثانياً:** على الأمم بواســطة الضربات الإلهيـــة المباشرة (١صم٥:٦،٩).. وأيضاً بواسطة **سيف الشعب**.

لذلك لم يــكن يشوع أو غيره غازيا لغرض يخصه هو أو شعبه.. بل كان الأداة التى ينفذ بها الله قضاءه، **فى تدبير توقيع القضاء الفورى**.

والدليل على أن هذا القتل هو **دينونة** من الله، بالدرجة الأولى، أن الله بعد أن وعد أبانا إبراهيم أن يعطيه الأرض له ولنسله، لم يسلمه إياها فوراً.. بل قال الله له: "أَنَّ نَســْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ **أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ**.... وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ. وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلاَمٍ" (تك ١٥ : ١٣ - ١٥)

مات إبراهيم قبل أن يتحقق الوعد.. وتغرب نســـله قبل أن يتحقق الوعد.. لماذا؟.. لسببين:

الأول: أن التدبير الذى عاش فيه إبراهيم كان التدبير رقم ٤ وســـلطان الله فـــيه غير مطبق بصورة مباشرة.. لذلك كان لابد من الانتظار ٤٠٠ سنة، حتى يبدأ التدبير الخامس.. وهو من تدابير تنفيذ قضاء الله المباشر فيها.

الـــثانى: من غيـــر الـــمنطقى، ولا من عدالة الله، أن يـــدخل الشعب هذه الأرض ويقتلوا ســـــكانها.. ويسلبوا أرضهم.. دون جريرة واضحة.. لمجرد تحقيق الـــوعد، لـــصالح شعب ما - حتى لو كان شعب الله - لذلك كان لابد من الانتظار ٤٠٠ ســـنة.. كقول الرب لإبراهيم: "لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ (سكان الأرض) **لَيْسَ إِلَى**

الآنَ كَامِلاً" (تك١٥:١٦).. ومعهم باقى سكان الأرض "الْقِينِيِّينَ وَالْقَنِزِّيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ" (تك١٥:١٩،٢٠).

فكان لابد من الانتظار ٤٠٠ سنة، لهذين السببين، وبانتهاء هذه المهلة، بدأ التدبير الخامس **من ناحية.. ومن الأخرى** اكتمل شر هؤلاء الأمم.. ليعاقبهم الله.. **فمن الناحية الأولى:** كان الانتظار للوصول إلى تدبير القضاء الفورى.. **ومن الثانية:** كان الانتظار لاكتمال شرهم، لتوقيع هذا القضاء عليهم.. بسيف يشوع.. أو غير يشوع.. أو بأى طريقة أخرى.. كما يشاء الله فى اختيار نوعية الدينونة.

وعلى ذات القياس كما طبق الله سلطانه الفورى على الأمم، طيلة هذا التدبير الخامس، طبق أيضاً سلطانه على الشعب.. لا من خلال الناموس فقط بل أيضاً **بسيف هؤلاء الأمم** (١صم٤:١٠).. فالله لا يطيق الإثم (إش١:١٣).

لأنه "سَخَطٌ وَغَضَبٌ، شِدَّةٌ وَضِيقٌ، عَلَى كُلِّ نَفْسِ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ **الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ**. لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ" (رو ٢ : ٩، ١٠).

من حق الله أن يدين بطوفان أو غير طوفان.. بنار أو غير نار.. بسيف أو غير سيف.. ذلك انطلاقاً من **قداسته وعدالته**.. عندما يحين توقيت الإدانة.. دون أن يُنسب إلى الله تعالى عنفاً أو دموية.. وإلا فما الذى يمكن أن يقال عندما يدين الله – مستقبلاً – الأحياء والأموات، بطرح المدانين فى بحيرة النار الأبدية (مت ٢٥ : ٤١ ، رؤ ٢٠ : ١٥).

وإن كان غضب الله الآن "مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ" (رو ١ : ١٨).. إلا أنه مؤجل لسبب صليب الرب يسوع.. فيما يتفق مع كوننا نعيش فى **التدبير السادس**؛ "تَدْبِيرِ **نِعْمَةِ اللهِ**" (أف٣:٢).. و"سَنَةِ الرَّبِّ

الْمَقْبُولَةِ" (لو ٤:١٩).. والله "لا يـــشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (١بط٣:٩).. "لَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَـاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا (ليس الآن بل) فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْـتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ، الَّذِي سَـيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ" (رو ٢ : ٥، ٦).

يوسف

"بِيعَ يُوسُفُ عَبْدًا. آذَوْا بِالْقَيْدِ رِجْلَيْهِ. فِي الْحَدِيـــدِ دَخَلَتْ نَفْسُـــهُ، إِلَى وَقْتِ مَجِيءِ كَلِـــمَتِهِ.... أَرْسَـــلَ الْمَلِكُ فَحَلَّهُ.... أَقَامَهُ سَيِّدًا عَلَى بَيْتِهِ، وَمُسَلَّطًا عَلَى كُلِّ مُلْكِهِ".
(مز١٠٥:١٧-٢١)

من الشخصيات الكتابية التى نرى فيها، بوضوح باهر، كيف أن الله يحتفظ لنفســـه بالورقة الأخيرة.. التى "إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَـــتَأْتِي إِتْيَانًا وَلاَ تَتَأَخَّرُ" (حب ٢ : ٣).. عند "وَقْتِ مَجِيءِ كَلِمَتِهِ" (مز ١٠٥ : ١٩).

مرَّ يوســـف بسلسلة متتابعة من سبع حلقات أليمة.. واحدة تلو الأخرى.. وكانت كلها خسراناً مبيناً، لكل الأوراق التى كانت فى حوزته.

لم تكن واحدة منها على الإطلاق – فى حد ذاتها – خيراً بأى حال.. سبع حلقات.. والعدد ســـبعة هو عدد الكمال.. وليوســـف، كان كمال الألم.. والضرر.. والأذى.. والخسران.

الحلقة الأولى: "حَسَدَهُ إِخْوَتُهُ" (تك ٣٧ : ١١)

أضمروا له شراً.. يقول عنه يوسف لإخوته – فيما بعد – "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا"(١) (تك ٥٠ : ٢٠).

وبينما يقول الكتاب: "أما الأَخُ فَلِلشِّدَّةِ يُولَدُ" (أم ١٧ : ١٧)، نجد يوسف هنا قد خسر **تعاطف إخوته معه، وتسنيدهم له، إن وقع فى شدة**.. بل على العكس، هم أنفسهم **مصدر** هذه الشدة المتتابعة له.. فمن يبقى له بعد؟.. **فياللأسى.**

وهو فى هذا يشبه شخصاً تتكَّر له أهله، أو الأقربون إليه.

وهنا نرى **الورقة الأولى**، وقد سُحبت من يوسف، وطُرحت – بسماح من

الله – أرضاً.. ألا وهى **ورقة التمتع بتسنيد الإخوة، وعزوة الأهل والأصدقاء.**

****

الحلقة الثانية: تجريده من القميص الملون، وطرحه فى البئر (تك٣٧:٢٣،٢٤)

بدلاً من **قميص ملون** يخبٌ فيه يوسف تيهاً.. **وحضن لأبيه** يلوذ به مستدفئاً.. أمسى بين **جدران للبئر** قميصاً، يتربع فيه متقوقعاً.. **وقاع للبئر** حضناً، يبيت فيه مقشعراً.

أين القميص الملون؟.. لقد نزعوه عنه.. أين الحضن العائلى الدافئ.. لقد انتزعوا الغلام منه.. **فياللوحدة.**

وهو فى هذا يشبه أسرة فقدت عائلها.. أو أيتاماً فقدوا حضن الأبوة أو الأمومة الدافئ.

وهنا نرى **الورقة الثانية**، وقد سُحبت من يوسف، وطُرحت – بسماح من الله – أرضاً.. ألا وهى **ورقة الحضن العائلى الدافئ.. والجو الأسرى المسكِّن.**

****

الحلقة الثالثة: ترحيل يوسف إلى وطن غريب (تك ٣٧ : ٢٨)

سحب تجار مديانيون عابرون يوسف من البئر.. وباعه إخوته للإسماعيليين[٢٠].. فأتوا به إلى مصر (الشاهد السابق).. وبدلاً من كونه وارثاً لوطن موعود.. إذ به مهمَّشاً فى وطن غريب.. **فياللاغتراب.**

وهو فى هذا يشبه أشخاصاً نُفُوا من أوطانهم قسراً.. أو آخرين هاجروا منها طوعاً.. وتركوا أهلهم وجيرانهم.. على أمل أن تتحسن أحوالهم فى البلاد الجديدة.. فباءوا بالفشل.. وباتوا كالمنفيين قسراً.

وهنا نرى **الورقة الثالثة**.. وقد سُحبت من يوسف.. وطُرحت - بسماح من الله - أرضاً.. ألا وهى **ورقة المواطنة والجنسية**.

****

الحلقة الرابعة: "بِيعَ يُوسُفُ عَبْدًا" (تك ٣٩ : ١ & مز ١٠٥ : ١٧)

باع الإسماعيليون يوسف لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط (تك٣٧:٣٦).

وإن كان رئيس الشرط قد أكرمه.. لأن الرب كان مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً (تك ٣٩ : ٣)، إلا أن هذا لم يمنع كونه عبداً.. مثل بهيم يُباع ويُشترى.. فاقداً كل أهليّة للأحرار.. كالبيع.. أو الشراء.. أو التملك.. أو التنقل.. أو الإعتقاد.. وهى الحقوق الأصيلة، التى نصت عليها مواثيق حقوق الإنسان.. **فياللذل**.

وهو فى هذا يشبه العبيد فى الماضى.. أو العبيد بصور إستعباد أخرى حالياً.

وهنا نرى **الورقة الرابعة**، وقد سُحبت من يوسف.. وطُرحت - بسماح من الله - أرضاً.. ألا وهى **ورقة الآدمية**.. التى هى حق أصيل لكل إنسان.. قبل وبعد صدور الإعلان العالمى، ومواثيق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

****

الحلقة الخامسة: اتهامه فى شرفه بادعاء باطل (تك ٣٩ : ١٤،١٥)

ادعت عليه زوجة فوطيفار أنه حاول أن يضطجع معها.. وصرخت بصوت عظيم، معلنة مذنوبية يوسف أمام أهل البيت.. لتكون فضيحة رنانة (الشاهد السابق).

وبينما يكتب الحكيم: "اَلصِّيتُ أَفْضَلُ مِنَ الْغِنَى الْعَظِيمِ" (أم ٢٢ : ١)، نجد العار قد لصق بهذا البرئ.. و"عَارُ الشُّعُوبِ الْخَطِيَّةُ" (أم ١٤ : ٣٤).. **فياللفضيحة.**

وهو فى هذا يشبه أشخاصاً يتم اتهامهم زوراً – مدنياً.. أو حتى كنسياً، كما يحدث أحياناً – أو يتم تلفيق تهم تمس شرفهم، هم منها براء.. أو أشخاصاً يُشَهَّر بهم فى إشاعات كاذبة أو مغرضة – وربما على المستوى الكنسى للأسف – فيخسرون بذلك صيتهم.

أو يشبه الرسول الصابر بولس، الذى كان **يُفترى عليه** فيعظ (١كو٤:١٣).. ويخدم، لا بصيت حسن فقط.. بل أيضاً "**بِصِيتٍ رَدِيءٍ**" (٢كو٦:٨).. وصل إلى اتهامه ظلماً باحراق روما (من التاريخ).

وهنا نرى **الورقة الخامسة**.. وقد سُحبت من يوسف.. وطُرحت – بسماح من الله – أرضاً.. **ألا وهى ورقة الصيت.**

****

الحلقة السادسة: حبس يوسف فى بيت السجن (تك ٣٩ : ٢٠)

أن يكون يوسف عبداً فى بيت فوطيفار خير من سجين، "آذوا بالقيد رجليه" (مز ١٠٥ : ١٨).

صحيح أن الرب قد بسط إلى يوسف "لطفاً وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ" (تك ٣٩ : ٢١).. حتى أن رئيس السجن دفع "إِلَى يَدِ يُوسُفَ جَمِيعَ الأَسْرَى الَّذِينَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ" (تك ٣٩ : ٢٢).. لكن فى النهاية كان يوسف سجيناً.. **فياللضغطة.**

والحرية أثمن من أى امتياز داخل السجن.. ويكتب الشاعر على لسان العصفور:

الـحبسُ ليس مذهبى وليـــس فيه طربى
فلستُ أرضى قفصاً وإن يـكن من ذهبِ

وهو فى هذا يشبه المســـاجين عموماً.. والأبرياء منهم خصوصاً.. وعلى رأســهم الرسول المتفانى بولس - الذى بعدما أُتهم ظلماً بإحراق روما - سُجن وهو برئ فى روما (٢تى ٤ : ١٦).

وهــنا نرى **الورقة السادسة**، وقد سُحبت من يوسف.. وطُرحت - بسماح من الله - أرضاً.. ألا وهى **ورقة الحرية**.

****

الحلقة السابعة: نسيان يوسف فى السجن (تك ٤٠ : ٢٣)

طلب يـــوســـف من رئيس الســقاة، عندما يكون له خير، أن يذكره لدى فرعون، ليخرجه من بيت الســجن (تك ٤٠ : ١٤).. "وَلكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ" (تك ٤٠ : ٢٣).

مات الفرعون الذى سُـجن يوســـف فى أيامه (غالباً سنوسرت الثانى).. وجاء بعده من جاء، كفرعون جديــد، لا يـــعرف شيئاً عن يوســف.. وربما يكون رئيس الشرط قد مات أيضاً، أو تغير.. كذلك المســـاجين منهم من خرج من السجن - كـرئيس السقاة - ومنهم من أُعدم - كرئيس الخبازين - فمن ذا الذى يذكره لدى فـــرعون؟.. ومن ذا الذى بقى من قدامى المساجين، حتى ينبه المسئولين إلى سجين منسى؟

ولعل يوسف بذلك ظن أنه سيقضى بقية عمره فى السجن.. فاقداً بذلك كل رجاء له فى الخروج من السجن.. والتمتع بشمس الحرية.. **فياللبأس.**

والأمل زاد اليائسين.. والرجاء طعام المحبطين.

والشاعر يقول:

أعلـــل الـــنفس بـــالآمال أرقبـــها
ما أضيـــق العيشَ لـــولا فُسحة الأمل

وهـــو فى هذا يشبه أناساً ضاقت بهم السبل - لسبب أو لآخر - فاستسلموا فى يـــأس لما تجرى به الأمور.. وخنعوا فى إحباط لما تأتى به الرياح.. فاقدين كل أمل فى إنفراج السُبل.

أو يشبه الرســـول العجيب بولس.. وســـبب العجب: أن "له فى كل نازلة نـــصيب".. أقول يشبهه فى قوله: "حَتَّى أَيِسْنَا (يئسنا) مِنَ الْحَيَاةِ" (٢كو١:٨).. فثلاث مرّات انكســـرت به الســـفينة (٢كو١١:٢٥).. فى إحداها اختُطفت السفينة بإعصار "أوروكليـــــدون".. فانتُزع كل رجاء فى نجاتهم (أع٢٧:٢٠).. وأخرى يكتب عنها: "فِي دِمَشْقَ، وَالِي الْحَارِثِ الْمَلِكِ كَانَ يَـــحْرُسُ مدِينَةَ الدِّمَشْقِيِّينَ، يُرِيدُ أَنْ يُمْســـِكَنِي، فَتَدَلَّيْتُ مِنْ طَاقَةٍ فِي زَنْبِيل مِنَ السُّورِ، وَنَجَوْتُ مِنْ يَدَيْهِ" (٢كو١١:٣٢،٣٣).

وهـــنا نرى الورقة السابعة - آخر الورقات التى كانت فى حوزة يوسف.. وقد ســـُحبت منه.. وطُرحت - بسماح من الله - أرضاً.. ألا وهى **ورقة الأمل فى انزياح الغمة.. والرجاء فى الحياة بجملتها.**

وهكذا تعرض يوسف إلى:

١- حسد مقيت.

٢- قاع سحيق.

٣- تغرب الشريد.

٤- إذلال العبيد.

٥- اتهام مشين.

٦- حبس مديد.

٧- نسيان مميت.

سبع حلقات أليمة مر بها يوسف.. سُحبت منه خلالها، سبع ورقات، كانت فى حوزته ولـــصالحه، خســرها جميــعاً - بســماح من الله - وهكذا نرى كمال الخســران.. وكمال الألم.. لســجين مقضى عليه - لا بالسجن فقط بل - بالنسيان المؤبد، إلى نهاية عمره.. **فياللخسران المبين.**

وهنا نرى عصا موســـى - فى الرمز - وقد تحولت إلى حية.. وابتلعت كل أوراق يوســـف.. والشيطان وقد عربد - بسماح من الله - فى المشهد.. ليجعل من تاريـــخ هذا الغلام البرئ، ملحمة ميلودرامية واقعية، تفوق الملاحم المؤلفة، من الإغريق.. وغير الإغريق.

وبخســـران هذا الفتى المسكين - وقد كبر فى السجن، وصار رجلاً، لما ظـنه، ويظنه البشر - الورقةالأخيرة التى فى يده.. لم يبق له شئ يخسره.. فعدد ٧ هو عدد الكمال.. وهو هنا كمال الخسران.. وكمال ما يتبعه من ألم.

وقتئذ نجد الشيـطان وقد اسـتراح من جهة يوســف.. ظاناً أنها النهاية.. فـطريق يوسف مسدود.. وظهره إلى الحائط.. ووجهه إلى أبواب موصدة للسجن.. يـهلل الشيطان وقتئذ.. جاهلاً أنها، وإن كانت الحلقة الأخيرة فى نظر الجميع، لكنها ومن المنظور الإلهى، ليســت الحلقة الأخيــرة بأى حال.. وأن هناك - ويالغبطة يوسف، وأمثاله - حلقة أخرى؛ هى الحلقة الأخيرة، فى حقيقة الأمر.

أبعد اكتمال ســبع حلـقات، توجد حلـقات أخرى؟.. نعم.. إنها **الــحلقة الثامنة**.. وهى **الورقة الأخيرة**.. التى **يحتفظ بها الله لنفسه**.. فلا هى فى يد يوسف أو غير يوســـف.. من البشر، أو الملائكة، أو الأبالسة.. حتى يخسرها يوسف.. أو تبتلعها الحية.. أو يختطفها الشيطان.

إن مـــا فى يد الله، لا ينزعه أحد من يده (يو ١٠:٢٩).. إذ "هَلْ تُسْلَبُ مِنَ الْجَبَّارِ غَنِيمَةٌ؟ وَهَلْ يُفْلِتُ سَبْيُ الْمَنْصُورِ؟" (إش٤٩:٢٤).

وعـدد ٨ فى الكتاب هو عدد القيامة..[٢١] فإن كان طريق يوسف مسدوداً، فإن المسيح المقام من الأموات:

١- إما أن يدخل، والطريق مســدود.. والأبواب مغلّقة (يو ٢٠ : ١٩).. وحوائط الـــسجن الحرفى.. أو ســجن المرض، والظروف، والتجارب.. مدججة بالمتاريس، والحراس.

٢- وإما أن يــفتح الباب.. ويهدم الحوائط.. وينزع المتاريس.. ويســقط السلاسل (أع ١٩:٥ & ١٢:٧،١٠).

يــحدث هذا فى الحلقة الثامنة.. ملوِّحاً الله فيها **بالورقة الأخيرة**.. ألا وهى **ورقة القيامة**.

هــكذا بالنسبة لنا.. ربما يكون بحوزتنا امتيازات عدة.. وبين أيدينا أوراق متنوعة.. يسمح الله أحيانا بسحب بعض منها.. كورقة الصحة.. أو ورقة المال.. أو ورقة الممتلكات.. أو ورقة العمل.. أو ورقة الأولاد.. وفى النهايـــة ورقة الحياة.. فإن سلمنا بوجود ورقة أخيرة فى حياتنا.. أفبعد ورقة الحياة تتبقى أوراق أخرى؟

نعم.. إنها **ورقة القيامة**.. إن فى أثناء الحياة، أحياناً.. أوبعد انتهاء الحياة، يقيناً.. ومن خلالها يبســط الله سلطانه المطلق.. بحسب عمل استطاعته أن يخضع لــنفسه كل شئ.. فيمتثل الكون كله صاغراً، بما فيه الموت، لهذا الذى عنده "**لِلْمَوْتِ** مَخَارِجُ" (مز٦٨:٢٠).. وبما فيــه الـــهاويـــة، لمالك "مَفَاتِيــحُ **الْهَاوِيَــةِ** وَالْمَوْتِ" (رؤ١:١٨).. **فياللجلال!**

والعجيـــب أن الله متى أراد أن يصل إلى الحلقة الأخيرة، ربما اســتخدم الشيطان نفسه!

فمجاعة قادمة.. على مصر، وجميـــع البلدان.. ونهر ســيجف.. وغيوث

ستنقطع.. وأرض ستبور.. وشعب سيجوع.. مَنْ الفاعل المباشر؟.. الشيطان.. هل بإذن من الله؟.. قطعاً.. هل يعطيه الله الإذن؟.. نعم.

فالضرر، هو نية الشيطان لشعب مصر.. وللعالم.. وهو يأخذ الإذن.. ولا يعلم أن هذا الضرر، من ناحية، لن يؤذى شعب مصر (تك٤١:٤٧-٤٩).. ومن الأخرى، ينهى ملحمة الأذى السباعية التى اجتازها يوسف.. ويمهد الطريق للحلقة الثامنة، بخروجه من السجن، وجلوسه على العرش، ثانياً لفرعون (تك ٤١ : ٤٠).. وبدونه "لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (تك ٤١ : ٤٦).

عجيب!!.. ضرر لا يضر.. ومصيبة تداوى مصائب.. إنها حكمة الله وقدرته، التى تخرج من الآكل أكلاً، ومن الجافى حلاوة (قض ١٤ : ١٤).

والتدبير الذى عاش فيه يوسف كان التدبير الرابع.. (ورقمه زوجى).. وسلطان الله فيه غير مباشر، وغير فورى.. وفيه يمسك الله الزمام من وراء الستار.. لذلك، فإنه يتدخل فى الخفاء.. ويحدث ذلك أحياناً، بأن "يَتَكَلَّمُ مَرَّةً، وَبِاثْنَتَيْنِ.... فِي **حُلْمٍ** فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ، عِنْدَ سُقُوطِ **سَبَاتٍ** عَلَى النَّاسِ، فِي **النُّعَاسِ** عَلَى الْمَضْجَعِ" (أى٣٣:١٤،١٥).

لذلك كان سلطان الله يحرك الأمور من وراء الستار.. فى حلم لفرعون.. ولمرتين.. كما جاء فى الشاهد السابق.

وإن كانت الحية قد أخافت موسى.. فإنها قد حشرت يوسف فى ركن مميت - فى غيابة السجن - حشراً، يبدو ظاهرياً أنه حشر نهائى.. والله محتجب خلف الستار.. فيما نراه **لغزاً وسراً**.

وبدءاً من الحلقة الأولى، **يكبر اللغز.. ويتضخم السر**.. مع تسلسل الحلقات الأليمة ليوسف.. ولغير يوسف.. فهل يدوم الأمر هكذا إلى النهاية؟

حاشا إن الله، وإن كان محتجباً؛ إلا أنه لم يـفقد الزمام من ناحيــة.. ومن الأخرى يعمل من وراء الستار.

وفى وقته تُمســك الحية من ذنبها.. إن فى التدبيرات فردية الترقيم، على المســتوى التدبيرى العام.. أو فى نهاية الحلقات، على المستوى الشخصى الخاص، فى أى تدبير فردى كان أو زوجى.

وبإمســاك الحية من ذنبها.. يربط موسى جأشه.. ويأخذ يوسف عرشه.. ويــنفذ الله غرضه.. ويــحقق للمؤمن وعده.. بأن "كُلَّ الأَشْيَــاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْــرِ (النهائى فى الحلقة الأخيرة) لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رو٨:٢٨).. **فيالحكمة الله!**

فما "أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْــفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْــتِقْصَاءِ!. لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟" (رو١١:٣٣،٣٤).

أيوب

"قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ".

(يع ٥ : ١١)

رأينا جانباً من الأسباب التى من أجلها يسمح الله باتيان الأذى لأيوب.. والآن نتناوله كمثال لما تنتهى إليه سياسة الله معه، فى **حلقتها الأخيرة**.

الإمتحان الأول لأيوب:

اشتكى الشيطان على هذا الكامل المستقيم (أى ١ : ١).. عندما ذهب مع "بنى الله" (الملائكة – أى ٨ : ٦،٧).. لدى مثولهم أمام الرب (أى ١ : ٦).. فيما نعلم من (امل ٢٢ : ٩ – ١٢) أنه لتلقى التعليمات.. أو بلغة العسكرية؛ لكى يمثلوا فى "الطابور" لإعطاء "التمام".

وكانت حيثيات شكواه هى تقوى أيوب.. أهكذا؟!. فالشيطان لا يشتكى على المؤمن فقط إن هو سقط.. بل أيضاً وإن عاش مستقيماً.. مستثمراً كلتا الحالتين.. ملتمساً أن يجد فرصة هنا، يهتبلها.. أو يقف على ثغرة هناك، ينفذ منها.

فسقوط المؤمن، كما تقواه، كلاهما مدعاة لشكاية الشيطان.. غفلة منه أنها محاولات فاشلة.. لأنه "مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟" (رو ٨ : ٣٣).

ودار الحوار الذى سبق أن رأيناه، وانتهى بالإذن للشيطان بأن يمد يده ويمس كل ما لأيوب.. لكن دون أن يمس جسده.. عندما قال له الرب: "«هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ»" (أى ١ : ١٢).

ما أن أخذ الإذن حتى لم يضع ثانية واحدة.. ولا ترك ثغرة واحدة.. بل فى توقيت واحد تقريباً، أضاع، بالسرقة والقتل، مفردات مواشى أيوب.. وما لم يقم

به البشر، قام به الشيطان نفسه إذ أهاج - باعتباره "رئيس سلطان الهواء" (أف٢:٢) - ريحاً شديدة صدمت زوايا البيت الذى كان الأولاد - مع عائلاتهم - مجتمعين فيه.. فأهالته ركاماً عليهم.. فسُحقوا صرعى الأنقاض.. كما أن نار الله[٢٢] سقطت من السماء، بفعل إبليس، ولكن بسماح من الله! لتحرق الغنم (أى١:١٣-١٩).

وخسر أيوب بهذا، الأوراق الستة التى كانت بحوزته - فى برهة يسيرة - وهى:

١- سبعة آلاف رأس من الغنم.

٢- ثلاثة آلاف جمل.

٣- خمس مئة فدان (زوج) بقر.

٤- خمس مئة آتان (حمارة).

٥- جميع العبيد والغلمان (باستثناء ٤).

٦- بنوه السبعة، وبناته الثلاث (مع عائلاتهم).

وبعد أن عبّر أيوب عن حزنه، خرَّ على الأرض وسجد قال: "«عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ للهِ جِهَالَةً" (أى١:٢٠-٢٢).

وهكذا أُبطلت الألغام السابق ذكرها.. ومنها أن الله يستحق العبادة لما هو عليه فى ذاته، لا بسبب ما يغدقه من خير لعباده.. أو يوفره من حماية لهم.. أو ما يضربه من سياج حولهم.

أما أبونا إبراهيم فلم ينتظر حتى يسمح الله بسحب شئ منه.. ثم يواصل بعدها عبادته لله.. بل قدم ابنه وحيده الذى يحبه إسحق ليصعده محرقة لله - بكامل إرادته - لماذا؟.. لأن الله عنده أحق بأن يُطاع ويُعبد ويُتقى ويُخدم.. ليس فقط ولو أخذ إسحق منه كرهاً.. بل بتقديمه إياه لله طوعاً.. كقول الرب له: "لَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ

وَحِيدَكَ" (تك ٢٢ : ١٦).

الامتحان الثانى لأيوب

اندرج الشيطان فى زمرة أبناء الله ثانية للمثول أمام الرب.

ولـلمرة الثانية يشتكى على أيوب.. أ ثانية؟.. أ لم يكفه ست أوراق سحبها منه - بإذن من الله - حتى يرنو إلى ورقة أخرى؟

لقد أجهز على كل ما كان لأيــوب من مواش وعبيد وإماء.. بل وذرِّية.. لــكنه ركز عينيه ووضع قلبه (أى ١:٨ ؛ ٢:٣) على ورقة الصحة - بدءاً بجلده - يـــسحبها منه - بإذن من الله - ضامراً فى نفســه أن تمتد يده إلى باقى أعضائه وعظامه.. ماضياً بأيوب بذلك إلى التجديف المؤكد.. ثم الموت المحقق.

ويـناور الشيــطان الله بالقول"«جِلْدٌ بِجِلْدٍ، وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَـانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِـهِ. وَلكِنِ ابْسِـطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ»" (أى٢:٤،٥).. وكأن الله يرد عليه: أ ثانية.. أ أنا الذى تتبســط يدى بالأذى؟.. لكنها المراوغة المســتديمة لإبليس.. لا يكف عنها.. معنا.. وياللغرابة، مع الله نفســه!.. وفى قوله لله "جِلْدٌ بِجِلْدٍ" (أى ٢ : ٤)، يريد أن يشرح أنه لا يساوى الجلد إلا الجلد.. فـما أصاب أيوب - حتى فقد أولاده - لهو أرخص من جلده.. وهو لم يجدف عليك رغم ما أصابه، لأنه خارج جلده.. وبعيــداً عن جســده.. أما لو وصل الأمر إلى جســده، أو حتى جلده الخارجى، لجدَّف عليــك.. والعامة يقولون: "اللى ييجى فى الريش بقشيش".

وإذ أخـذ الشيطان الإذن - مشروطاً بحفظ نفس أيوب - لم يضع فرصة.. ولا ترك ثغرة واحدة فى الإذن لم يســتثمرها.. "فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّـوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ" (أى ٢ : ٧).. فيما لا يفيد

فيـــه أيـــاً من العلاجات القديمة، أو الحديثة.. فهى **ضربة من الشيطان**.. لا يجدى معها ترياق من العراق.. أو أعشاب من المشرق.. أو حتى مضاد حيوى من القرن الحادى والعشرين.[٢٣]

خســـر أيـــوب من قبل أوراقه الســـت.. فنزل إلى الصفر - أو كما يقول المثل: "إلى الحديدة" - أما وقد خســـر الورقة السابعة؛ ورقة الصحة؛ فقد نزل إلى مـــا تحت الحديد.. إلى التراب.. كقوله: "لَبِسَ لَحْمِيَ الدُّودُ مَعَ مَدَرِ التُّرَابِ (الوحل)" (أى ٧:٥)

وللمرة الثانيـــة، ينجح أيوب، ويرد على قول إمرأته له: "بَارِكِ (إلعن) الله وَمُـتْ!" (أى٢:٩)، بقوله: "أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟. فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ" (أى٢:١٠).

وفى كلتا التجربتين نرى عصا موسى - بلغة الرمز - مطروحة أرضاً.. والحية تصول وتجول.. وأيوب - مثل موســـى - بل ويزيد.. فالحية تهلل طرباً.. وأيوب يمزق جبته.. ويجز شعر رأســـه (أى ١ : ٢٠).. "يَتَوَجَّعُ لَحْمُهُ وَعَلَى ذَاتِهَا تَنُوحُ نَفْسُهُ" (أى ١٤ : ٢٢).. كما لم يفعل أحد قبله ولا بعده.

لكن إلى متى؟

إلى أجل موقوت.. الزمام فى يد الله.. لم يفلت منه لحظة.. مهما حدث من الحية فى المشهد الظاهر.. ومهما بات الله محتجباً.. فهو يمارس ســـلطانه، بطريقة غير مباشرة.. ومن وراء الستار.

وإن كان الله قد اســـتخدم هذه المحنة المزدوجة ليكتشف أيوب نفسه ومن هو فى ذاته.. ومن هو الله.. إلا أن هذا لـــيـــس كل ما فى الأمر.. ولا كان **الورقة الأخيرة** لدى الله.

لقد لمعت هذه الورقة عندما "رَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ" (أى ٤٢ : ١٠).. وبارك آخرته أكثر من أولاه (أى ٤٢ : ١٢).. هذه **الآخرة** هى ما كتب عنها يعقوب فى رسالته: "قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ **أَيُّوبَ** وَرَأَيْتُمْ **عَاقِبَةَ الرَّبِّ**. لأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ" (يع ٥ : ١١).. أى **رأيتم الورقة الأخيرة** فى يد الله.. ملوحاً بها على مرأى ومسمع من البشر.. والتاريخ.. والكون كله.. لتكون "مِثَالاً لَنَا" (١ كو١٠:٦،١١).

وهكذا.. فبالإضافة إلى البركات الروحية التى نالها أيوب فى نهاية محنته، فإن الرب ردَّ له **ضعفا** من كل ما فقده.. أى:

١- أربعة عشر ألفاً من الغنم.

٢- ستة آلاف جمل.

٣- ألف فدان (زوج) من البقر.

٤- ألف أتان.

٥- بالمنطق، ضعف عدد العبيد والغلمان.. لزوم رعاية ضعف عدد المواشى.

٦- **نفس** عدد الأولاد والبنات.. وليس **الضعف**.. لماذا؟.. لأن المواشى انتهت بموتها.. أما الأولاد والبنات الذين ماتوا لم ينتهوا.. بل وصل هو إليهم.. وبذلك أخذ عشرة هنا.. وعشرة حُفظوا له هناك.

وحيث أن "هذهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ (فى العهد القديم) مِثَالاً، (لذلك فقد) كُتِبَتْ (ليس لهم فقط بل) لإِنْذَارِنَا **نَحْنُ** الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ" (اكو١٠:١١).[٢٤]

كيف؟

إن كان الشيطان قد مد يده لسحب ورقة أو أكثر منا.. أو سحب الكل

كالســـبع التى كانت فى حوزة أيوب، فإن الله فى النهاية.. فى الحلقة الأخيرة، يفتح يــده - ملــوحاً فيــها **بـــالــورقة الــثامنة والأخيــرة** - "فَتَشْبعُ كُلَّ حَيٍّ رِضًى" (مــز ١٤٥:١٦).. بما فى ذلك البهائم والوحوش ودبابات البحر (مز ١٠٤:١٤، ٢١، ٢٥).. فيـــخرج المؤمن من تجربته كما لو كان مائتاً فعاش.. أو إن ســمح الرب، بلوغاً به - بعد الموت - "إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ" (فى ٣ : ١١).

وبانتهاء ملحمة أيوب.. نرى الحية فى النهاية، وقد أُمسكت من ذنبها ليس تــدبيرياً.. بل اختبارياً لأيوب.. ولأن "نهاية أمر خير من بدايته" - طالما أن الورقة النهائية يحتفظ بها الله لنفســـه لصالح عبيده - لذلك "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رو ٨ : ٢٨)

هذا وإن كانت هناك أسباب **تخص الله** كما سبق ورأينا فيما أصاب أيوب، فإنه **بالنســبة لأيوب لم يكن هناك سبب يستدعى هذه المحنة**.. يقول الله للشيطان: "**وَقَــدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأَبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ**" (أى ٢ : ٣).. أى أن افتراءاتك جميعها ضده كانت باطلة.. وقد سمحت لك بإيذائه.. دونما سبب يخصه.. لكن لأثبت لك وللجميع كذب ادعائك.. فيتبرر أيوب.. وبتبريره أتبرر أنا من الألغام المندســـة فى شكواك ضده.

ونحن بدورنا نســـأل: مادام لم يكن هناك سبب يخص أيوب استدعى كل هذا.. وإنما عرفنا الأسباب التى تخص الله.. لم يعد الأمر إذاً سرًّا.. نقول: كلا.

يظل الســـر قائماً.. وهو لماذا أيوب بالذات؟.. وغيره كثيرون.. لاســـيما وأنه "كَانَ هذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْــتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" (أى ١:١).. هنا الســـر؛ **ســـر الله**.. والذى يظل ســـراً خفياً علينا.. مُبهماً فى نظرنا.. فمهما عرفنا جوانب من ســـياسة الله معنا، أو مع خلائقه، لكن تظل هناك جوانب من سر الله لا نعلمها.[٢٥]

بطرس
والتلاميذ

"سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ".
(لو ٢٢ : ٣١، ٣٢)

ينبِّه الرب بطرس من ترصُّد الشيطان له وللتلاميذ.. ومن طلبهم لكى يضعهم فى الغربال.. متى طلبهم؟.. وكم مرة؟.. لا نعلم.. لكنه عدو مثابر.. لايكل من الجولان.. والبحث.. والتنقيب.. عسى أن يجد ثغرة، يسمح له الرب أن ينفذ منها.. بغرض إيذاء المؤمن.

هوذا الشيطان قد طلبكم.. ممن؟.. من الذى يمتلككم.. من هو؟.. إنه الله.. كعبارة الرب فى صلاته للآب: "كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي" (يو ١٧ : ٦).. كانوا لله، قبل الصليب (يو١٧:١٠).. وأعطاهم **لابن الإنسان يسوع المسيح**، بعد الصليب.. فالمسيح يمتلكهم كالله قبل الصليب.. ثم كالله وكابن الإنسان بعد الصليب.. كقول الرسول: "وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ" (١ كو١٩:٦).. "بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ" (٢ كو١٥:٥).

ومبدأ الغربلة قائم، فى العهد القديم أيضاً.. يقول السيد رب الجنود: "هأَنَذَا آمُرُ فَأُغَرْبِلُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ جَمِيعِ الأُمَمِ كَمَا يُغَرْبَلُ فِي الْغُرْبَالِ، وَحَبَّةٌ لاَ تَقَعُ إِلَى الأَرْضِ" (عا ٩ : ٩).

ومن المقطوع به أن غرض الله من سماحه بالغربلة لإسرائيل بواسطة الأمم.. وللغربلة للتلاميذ بواسطة الشيطان.. إنما هو الخير.. بينما غرض الأمم، أو الشيطان هو الإيذاء.

يختلف الغرضان.. وتدور رحى التجربة.. فغرض مَنْ الذى سيتحقق فى

النهاية؟.. بالطبع غرض الله.. لكن متى؟.. فى الحلقة الأخيرة من الغربلة.

وكما رأيـــنا فإن الشيطان - من جهة الوقت - لا يضيع ثانية واحدة بعد أخذه الإذن - ومن جهة مجال الإذن - لا يترك ثغرة واحدة من المسموح له به، لا يهتبلها.

ففور أخذ الإذن بغربلة التلاميـــذ، "أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِـمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يُسَلِّمَهُ (المسيح)" (يو ١٣ : ٢)

وإذ أقبل رؤســاء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ على الرب، قال لهم: ".... وَلَكِنَّ هذِهِ سَاعَتُكُمْ و(ساعة) سُلْطَانُ الظُّلْمَةِ (إبليس)" (لو ٢٢ : ٥٢، ٥٣).

حُوكم الــرب - له المجد - ثلاث محاكمات ديــنيــة، ثم ثلاث محاكمات رســمية.. وفى إحدى المحاكمات الدينية، كان بطرس جالساً يستدفئ عند النار فى دار رئيس الكهنة (مر ١٤ : ٥٤).. فهل ســرى الدفء فى أوصاله.. وبدد ما كان يَقْشَعِرُّ بســببه من هول ما أصاب - وسوف يصيب - سيده.. وما سوف يلحق به هو نفسه بالتبعية؟

لقد دخل الغربال.. وابتدأت الغربلة (الفكرية) لبطرس.

وحــرفياً.. تبدأ الغربلة بأن يأخذ المغربل من ناتج البيدر (الجرن) ويضعه فى الــغربال شاملاً الــحنطة والشوائب من حصى.. وقطع من الطيــن اليــابس.. والتراب.. والتبن.. وحبوب طفيلية كالزوان.. مختلطة معاً.

ثم يــرفع محتوى الغربال إلى أعلى.. وأثناء رفعه يــلف يده بالغربال فى حركة دائريــة.. فيــرتفع محتوى الغربال فى الهواء، دائراً فى حركة حلزونيــة.. وخلال دورانه نتيــجة الحركة الدائريـــة، والقوة الطاردة المركزية المصاحبة لها، تنفصل الأوزان الــمختلــفة عن بعضها، أثناء صعودها فى الهواء.. وعند هبوطها

ثانية إلى سطح الغربال، لا تسقط فى مكانها الأول.. بل تتقارب كل نوعية من الأوزان إلى مثيلاتها.. فتندفع الأجسام الثقيلة إلى الناحية الخارجية من الغربال.. والأخف إلى الناحية الداخلية.. فيهبط المحتوى إلى سطح الغربال وقد تغيرت مواقع محتواه.. ومرة وراء مرة، تتجمع فى النهاية كل نوعية من المحتوى فى مكان محدد.

وفى الرمية الأخيرة؛ يرفع المغربل المحتوى إلى أعلى فى الهواء، دون أن يلف يده بالغربال.. وعندما يتلقاه، يحرك الغربال ليكون أسفل الحنطة وحدها، فيتلقاها.. تاركاً الشوائب كلها تسقط أرضاً.

والشيطان قد طلبكم يا بطرس (مع التلاميذ) لكى يغربلكم كالحنطة.. وقد أخذ الإذن بذلك.. ولا تسل عن الأسباب الآن.. فـ "«لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ»" (يو ١٣ : ٧)

غربلة فكرية.. لم يطَّلع عليها أحد.. لكن استنتاجاً من المكتوب، وقياساً على ما يدور فى أفكارنا، ومع الاحتفاظ لتلميذ كبطرس بالتقدير الواجب، كانت سهام العدو (أف ٦ : ١٦)، ومناوراته شيئاً قريباً من هذا:

الشيطان: أنت مخطئ يا بطرس.

بطرس : فيم....؟!!.

الشيطان: فى اتباعك إياه.

بطرس : لقد دعانى فتركت الشبكة والمركب.

الشيطان: هنا الخطأ.

بطرس : أ يُعدُّ اتباعه خطأ؟!!

الشيطان: العبرة بخواتيم الأعمال.

بطرس : وهل كنت أعلم الغيب؟

الشيطان: دلائله كانت واضحة من البداية.

بطرس : أبداً.. رأينا منه خيراً كثيراً.

الشيطان: هذا جانب واحد.. لـــكنه لا يــكفى.. فالنظرة يــجب أن تكون شاملة.

بطرس : من كان يتصور؟!

الشيطان: لو كان ابن الله حقاً كما ادعى، لما حدث معه هذا.

بطرس : شئ يفوق الخيال.. بعد كل معجزاته وعجائبه، يُقتاد أسيراً.

الشيطان: كثيــرون قالـــوا له: "إِنَّكَ سَــامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْــطَانٌ" (يـــو ٧ : ٢٠، ٨ : ٤٨).. وآخرون طردوه من كورتهم (مر ٥ : ١٧).. وغيــرهم "فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَــرْجُمُوهُ" (يـــو ٨ : ٥٩).. وكان الأحرى بك أن تأخذ برأى الآخريـــن.. لاســيما وهم شيوخكم، ومعلموكم، وكتبكم.

بطرس : لقد وقع المحظور وانتهى الأمر.

الشيطان: نفسك إذن رخيصة.

بطرس : حاشا.. كل شئ دونها.

الشيطان: إذن فالخلاص بأى ثمن.

بطرس : كيف؟

الشيطان: بالانسحاب من خلفه.

بطرس : أتبعه إذن من بعيد.. وقد شرعت فى هذا منذ قليل (لو٢٢:٥٤).

الشيطان: بل لا تتبعه إطلاقاً.. فالانسحاب التام.. من هذا المكان.. وفوراً.

بطرس : مسألة فرصة.. فمتى سنحت لى هربت.

الشيطان: على بركة الله.

لقد حشر الشيـــطان هنا بطرس فى الكورنر (ركن حلبة الملاكمة – بلغة

الرياضة – أو فى حصار عسكرى – بلغة الحروب).. ولم يتبق إلا ضربة واحدة يسددها لبطرس.. لا يملك منها فكاكاً.. يقع بعدها.. ويفوز الشيطان بالضربة القاضية، والانتصار الساحق.

وهنا نرى الشيطان – وقد اقتربت الرمية الأخيرة – ممسكاً بالغربال.. عازماً على تلقى الشوائب.. ضامراً ترك الحنطة (إيمان بطرس) تتبعثر أرضاً.. فيفنى الإيمان.. ويتشتت بطرس، ومعه التلاميذ.. أليس مكتوباً: "اِضْرِبِ الرَّاعِيَ (المسيح) فَتَتَشَتَّتَ الْغَنَمُ" (زك ١٣ : ٧).. وهى العبارة التى اقتبسها الرب فى (مت ٢٦ : ٣١).. بقوله للتلاميذ: "كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ".. ويكون هذا آخر سهم فى جعبة الشيطان، والورقة الأخيرة فى يده.

لكن مكتوب أيضاً باقى العبارة: "وَأَرُدُّ يَدِي عَلَى الصِّغَارِ" (زك ١٣ : ٧).. ما المعنى؟.. معناه أن **يد الله** هى فى المشهد.. وإن اختفت ظاهرياً.. وبدا أن التشتت هو نهاية المطاف، وأنها الحلقة الأخيرة.. هذا بمنظور الشيطان، أو البشر.. لكن بمنظور الله، الأمر جد مختلف.. لأنه "يرد يده".. أين كانت يده حتى يردها إلى مكانها؟.. كانت منسحبة.. لتسمح للشيطان بالغربلة.. ولكن جاءت اللحظة التى فيها يرد يده، ليمسك الحية من ذنبها.. ويجمع الصغار؛ الشرذمة القليلة العدد (إش٤١:١٤)، كمياً.. الصغيرة النفس (١تس٥:١٤)، روحياً.. اليسيرة القوة (رؤ٣:٨)، فعلياً.

وابتدأ الرب يسحب الغربال من يد الشيطان قبل الصليب.. ليتمم سحبه بعد القيامة.

فبينما كان بطرس يتحسب الوقت.. ويتلصص على الدهليز.. ويتحين الفرصة للهروب.. إذ بضربة عنيفة وسريعة، لا يتوقعها، يسددها الشيطان له بفم

جاريــــة تقول له: "«وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُــوعَ النَّاصِرِيِّ!»" (مر ١٤ : ٦٧).. لم يثبت أمام هذه الــضربة الــخاطفة والـــموجهة بدقة إلى مقتل منه.. فإما الإنكار.. وإما الموت.. فأنكره قدام الجميــع "قَائِلاً:«لَسْــتُ أَعْرِفُهُ يَــا امْرَأَةُ!»" (لو ٢٢ : ٥٧).. و"«لَسْتُ أَدْرِي وَلاَ أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ!»" (مر ١٤ : ٦٨).

وثانية ينكر، ويقســم.. وثالثة ينكر.. ويقسم.. ويلعن.. (يلعن نفسه طبعاً.. طالباً أن تحل عليه لعنات الناموس- تث ٢٨.. إن كان كاذباً فى قوله، وفى قسمه)

وهــنا تدخل الرب.. بعد صياح الديك مرتين.. ونظر إلى بطرس.. "فَتَذَكَّرَ بُـطْرُسُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ لَهُ يَسُوعُ...." (مر١٤:٧٢).. "فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا" (مت٢٦:٧٥).. وبـــبكائه وندمه عبر عن خطئه، واعترف بخطيــته.. فغُفرت (ايو١:٩).. ولم يَفْنِ الإيمان.. لكن ليس هذا هو كل ما فى الأمر.. له.. وللتلاميذ.. ما الأمر إذن؟.. إنه **التشتت**.. وانتهاء إرسالية التلاميذ.

لقد ذهب بطرس فجر القيامة إلى القبر، ورأى الأكفان موضوعة وحدها.. وأدرك الحقيقة.. لكن ماله بها.. "فَمَضَى مُتَعَجِّبًا فِي نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ" (لو٢٤ : ١٢).. مجرد **تعجب**، ولــيس تمتعاً.. إنه إدراك يدفعه إلى التعجب.. وكأن الأمر **لا يعنيه**.. لذلك فقد "مَضَى التِّلْمِيذَانِ (بطرس ويوحنا) أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِهِمَا" (يو ٢٠ : ١٠).

ومثله التلاميذ.. هربوا قبل الصليب.. وانفك الشمل، بغياب المعلم والسيد.

تظهر الملائكة للنســـوة بعد القيامة، طالبة منهم أن يخبرن التلاميذ برسالة عامة لهم، وخاصة لبطرس (مر ١٤ : ٧، ٨).. بأن يتجمعوا للقائه فى الجليل.

خافت النســـــوة ولم يقلن لأحد شيئاً (الشاهد السابق).. أخبروهم بما رأينه (لو٢٤ : ٩).. لكن لم يبلغن الرسالة.

ترك الرجال القبر (يو٢٠ : ١٠).. **وتنصلت** النســوة من مســـئولية تبليغ

رسالة، ربما لا تتحقق.. الأمل إذن معقود **على الرب وحده.**

لذلك يـظهر للمجدليــة ويعيد تسـليمها الرســالة ثانية (يو ٢٠ : ١٧).. فتجاســرت هذه.. وذهبت.. "وَأَخْبَرَتِ التَّلاَمِيـذَ" (يــو٢٠ : ١٨).. "وَهُمْ يَنُوحُونَ وَيَبْكُونَ" (مر١٦ : ١٠).

ليــس هذا فقط بل ظهر - له المجد - بعد قيــامته لمريم الأخرى أيضاً.. ولســمعان بطرس (شخصيــاً) (١كو ١٥ : ٥).. ولتلميذى عمواس (لو٢٤:١٥).. وللتلاميذ عدة مرات.. ولأكثر من خمس مئة أخ.. وليعقوب.. ثم للرســـل أجمعين (١كو١٥:٥-٧).. أكثر من عشرة ظهورات.. لـلمِّ الشمل.. وجمع الحنطة.. وحفظ الإيمان.. تتميماً لقوله: "لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ" (لو٢٢ : ٣٢).

كان غرض الشيــطان من الغربلة، هو بعثرة الحنطة، وإفناء الإيــمان.. وكان غرض الله هو تنقيــة الحنطة من الشوائب.. وغرض الله هو الذى يــثبت.. كــقوله: "رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي" (إش ٤٦ : ١٠).. هذا معلوم.. لكن متى؟.. هنا السؤال.

يـحدث هذا فى الحلقة الأخيرة من السلسلة.. عندما يسحب الله الغربال من يــد الشيطان.. فهل تراه يأخذه عنوة؟.. حاشا.. فالله ليس فى معركة مع الشيطان.. لــكن الإذن للشيــطان كان بالغربلة فقط.. لا بطرح الحنطة إلى الأرض.. وبانتهاء الغربلة، انتهت مهمة الشيطان.. محتفظاً الله لنفسه **بالرمية الأخيرة.**

وكأنى بالشيطان يحادث نفسه: أ أتعب أنا فى الغربلة، طاوياً الشر والأذى فى نفســى.. فينتهى الأمر بالخير؟.. أ أكون أنا خادماً للخير.. أو بالحرى خادماً لله نفسه.. أنفذ مشيئته دون أن أدرى.. أو أريد؟

وكما لو كان الله يــرد عليه: نعم.. ولو لم يحدث هذا، وأصل إلى النتيجة

التى أريدها أنا.. لا أنت.. ما كنت أنا الله.. الذى أُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة (قض ١٤ : ١٤).. وأستحلب من مكايدك (أف٦:١١)، وأفكارك (٢كو٢:١١)، خيراً جزيلاً لأحبائى.

يتعب الشيطان مجتهداً فى الغربلة.. ويتألم المؤمن معانياً فى الغربال.. صارخاً مع التلاميذ فى المركب: "أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟" (مر ٤ : ٣٨).. من شدة الأنواء.. وقسوة الغربلة.. والرفع إلى أعلى.. والدفع إلى أسفل.. والقوى الطاردة، والقوى الجاذبة.

لكن فى النهاية.. يندحر الشيطان نادماً.. وينتصر الله متعالياً.. انتصاراً مزدوجاً.

الأول، على الشيطان إذ رد كيده إلى نحره.. و**الثانى** لصالح الذين يحبونه، إذ تمت تنقيتهم من الشوائب.

إنها الورقة الأخيرة، التى يلوح بها الله فى الحلقة الأخيرة.. **حلقة القيامة**.. مظهراً نفسه للرسل (التلاميذ) بعد الغربلة "**حَيًّا** بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ" (أع١:٣).. ولمدة أربعين يوماً كان يلوح لهم بهذه الورقة (الشاهد السابق).. مستلماً الغربال من يد الشيطان.. منتصراً عليه، وعلى الموت.. ممسكاً بالحية من ذنبها.. بعد أن صالت وجالت بالغربال يميناً ويساراً.. مخرجاً فى النهاية الخير "لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رو٨ : ٢٨).

حقاً إن "نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ" (جا ٨ : ٨).. ما الذى يضمن هذه النهاية.. إنه احتفاظ الله لنفسه بالورقة الأخيرة.. لمجد اسمه.. وجلال شخصه.. قبل أن يكون لبركة أتباعه.. وخير محبيه.. أيا كانت الأوراق الأولى.

المثال العظيم

"فَــإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَــنَا مِثَالاً لِــكَيْ تَتَّبِــعُوا خُطُوَاتِهِ".

(١ بط ٢ : ٢٨)

التدبيــر الســادس نرى فيـــه العصا الرمزية مطروحة أرضاً.. شأن كل التدابيــر زوجيـــة الرقم.. فيما يفيد أن الشيطان "رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ" (يو ١٤ : ٣٠) يــصول فيـــه ويجول (أى ١ : ٧ & ٢ : ٢).. بينما الله محتجب خلف الســتار.. يمارس سلطانه بطريقة غير مباشرة، وغير فورية.

فإن أضفنا إلى ذلك أن هذا التدبيــر ضمَّ بيــن دفَّتيه "أزمنة الأمم".. وفيها سُبى التابوت.. "تَابُوتِ الرَّبِّ ســَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا" (يش٣:١٣).. مسلماً الله وقتها "لِــلسَّبْيِ عِزَّهُ، وَجَلاَلَهُ لِيَــدِ الْعَدُوِّ" (مز ٧٨ : ٦١).. أدركنا قمة الخراب الممكن حدوثه.. فالسلطان **للشيطان**.. والسيادة **للأمم**.

ومــع بشائر هذا التدبير أتى سيدنا[٢٦] – ابن الله – إلى العالم.. مولوداً من امرأة (غل٤:٤).. ظاهراً فى الجسد (يو١:١٤).. كابن الإنسان.

حــانت ساعة ولادته – كإنسان – فلم يكن لمطوبة الأجيال مريم أمه مكان فــى المنزل (لو٢:٦).. وهل كان لها أن تجد، بينما **الشيطان** رئيساً لهذا العالم؟.. أم كان يُــنتظر أن يســتقبل الشيطان هذا الضيف الخطير بالورود؟.. إنه يغلق جميع الأبواب.. ويســـد كل المنافذ فى وجه هذا القادم – غير المرغوب فيه – إلى حيث كرســـى الشيطان (رؤ٢:١٣).. وفى أزمنة، هى **أزمنة الأمم**.. عسى أن يعود هذا الوليـــد من حيث أتى.. بطريقة أو بأخرى.. أو فلتكن ولادته فى الخلاء[٢٧] ليموت من صقيع فى العراء.. أو من تلوث بوباء.

ولـــما كان أمراً محتوماً أن يــولــد - طبقاً لــلــنبؤات - فى بيــت لحم (مى٥:٢).. وإذ أُغلـــقت كل مطارحها.. فقد وُلد فى مذود.. على غيــر توقع.. أو ترحيب من إبليس.

فلما فشلت الخطة الأولى، طور إبليــس خطته.. وبدلاً من إغلاق الأبواب أمامه قبل ولادته، تحولت إلى محاولة القضاء عليه بعدها.

وأخال الشيــطان يهلل قائلاً لهذا الوليد: [أخيراً قد جئت وسعيت بقدمك إلى مملــكتى.. مقتحماً عريـن الأســد.. وفى ســاعتى (لـو٢٢:٥٣).. وسـاعة الأمم (الشاهد السـابق).. وفى تدبير زوجى الترتيـب، العصا الرمزية، مطروحة فيه أرضاً.. وتابـوت سـيــادة الله علـى الأرض، مسـبـى لـدى الأمم.. إننى أترقب هذه اللحظة منذ أربعة آلاف عام.. لسحق عقبك.]

[لـقد ظننتُ] - يكمل الشيطان- [أنك ستأتى من نسل هابيل، فكان لابد من قتل هابيل (تك ٤ : ٨)، بيد رَجُلى قايين (الشاهد السابق)].

[ولما لم ينقطع النسل الروحى.. إذ ولد شيث (تك ٤ : ٢٥)، بِتُّ - من باب الإحتياط - أتربص بهذا النسل على مرِّ التدابير.. حتى أقطع الطريق عليك فأبادر بسحق عقبك، قبل أن تهم أنت بسحق رأسى.. فأكسب المعركة قبل أن تبدأ].

[وهكذا دوالـيــك، واصلــت نشــاطى بــكل همة.. فى قتل ذكور العبرانيين (خر١ :١٦)، مرة، فى أرض مصر بواسطة فرعون (الشاهد السـابق).. وفى محاولـة إبادة الشعب كله، مرة أخرى، أيام مردخاى، بواسطة هامان (إس ٣ : ١١ & ٧:٤).. وصولاً إلى محاولـة إبادة النسـل الملكى - نسل داود - بيد عثليا (٢ مل ١١ : ١).. فأقضى بذلك على "المولود ملك اليهود".. قبل أن يولد، أو يملك.. وفى كل مرة كنت تفلت من يدى].

[أما هذه المرة] - هكذا يواصل الشيطان - [فقد تحققت النبوات.. وها أنت ذا نسل المرأة، بشهادة المكتوب (تك ٣ : ١٥).. وابن داود، ببشارة الملائكة

(لو١ :٣٢ ، ٢ :١١).. وقد وُلدتَ.. فلأسحقن عقبك سحقاً.. ولأبيدن حياتك إبادة.. ولأقطعنك من أرض الأحياء قطعاً.. ألم تقل النبوات هذا (إش٥٣ :٨ & دا ٩ :٢٦).. وها أنذا حَرِىٌّ بتحقيق النبوات، وكفيل بتتميمها].

[لكن كيف أصوب سهمى إلى كبدك، وأنت منخرط بين مئات الأطفال فى بيت لحم.. إذن وضماناً لنجاح خطتى، سأقتل أطفال بيت لحم جميعهم.. فلا تجدن من يدى فكاكاً].

وسؤالنا الآن: هل يسمح الله للشيطان بأن يسحق عقب نسل المرأة طفلاً؟.. حتى لو كان ذلك تطبيقاً لنبوة سحق عقبه؟.. كلا.. لماذا؟.. لأن نفس النبوة تشتمل أيضاً على أن نسل المرأة يسحق رأس الحية.. أولاً.. قبل أن تسحق هى عقبه.. فهل هذه مهمة يقوم بها طفل؟

وأكثر من هذا.. فمهما يكن من أمر، فإن الشيطان لا يجرؤ على طلب الإذن من الله بقتل المسيح طفلاً.. لماذا؟.. لما فى ذلك من مخالفة للنبوات الخاصة بحياته وخدمته.. والتى يعرفها الشيطان.. لذلك فإنه يطلب الإذن بقتل جميع الأطفال.. على مظنة أن الله سيسمح له بذلك.. بينما هو - أى الله - غافل عن وجود الطفل يسوع وسط هؤلاء الأطفال.. وبذلك يبتلع الله الطعم الشيطانى!!

إن كان هذا هو حال الشيطان مع الله، فما هو الحال معنا؟.. فيا له من خصم مخادع.. وحيَّة متحوِّيَّة (ملتوية) (إش٢٧ :١).

ويالفرحة الشيطان وقد استلم الإذن من الله بقتل الأطفال.. لا أضاع فرصة.. ولا ترك ثغرة.. بل ومن فوره بادر إلى التنفيذ.. مستخدماً أحد أدواته.. وهو هيرودس (الكبير).

هنا تدخل الله.

لكن هل يتدخل تدخلاً مباشراً وفورياً، فى تدبير زوجى الترتيب، هلَّت

بشائره (رقمه ٦).. كأن يحبس إبليس مثلاً.. أو على الأقل يؤجل منحه الإذن، حتى يـتدبر الله أمره، ويـــجد حلاً لهذا الإشكال؟!.. إذاً كان الأولى ألا يعطيه الإذن من الأصل.

أمـــا وقد أعطاه الإذن بقتل الأطفال، فهذا يعنى أنه لا يتدخل تدخلاً مباشراً لمنع الأذى.. إذ هو محتجب.. لكنه من وراء الســتار.. وفى الخفاء.. فى الليـــل.. "عِـنْدَ سُقُوطِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ، فِي النُّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ" (أى ٣٣ : ١٥).. يظهر ملاك الرب " لِيُـوسُـفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ.." (مت ٢ : ١٣).. فيطيش بذلك سهم الشيطان.

إنه لا يمســـك الحية الآن من ذنبها، بل يتركها، سامحاً لها بإيقاع الأذى.. وفى الوقت نفســـه يمســـك بالزمام من خلف الستار.. إلى أن يظهر فى المشهد فى تدبير قادم.. فيمسك بالذنب.. والقفا (مز١٨:٤٠).. لا بالزمام فقط.

وباقى الأمر معروف.. إذ بعد موت هيرودس، أُوحى إلى يوســـف أيضاً فى حلـــم أن عُدْ بالصبى وأمه إلى أرض إســرائيـــل (مت ٢ : ٢٠).. إلى نواحى الجليل (مت ٢ : ٢٢).

وجديـــر بالملاحظة أن هذه الخطة الشيطانية كانت – مع دمويتها – تخدم الله من جانب آخر.. ألا وهو تتميم نُبُوَّتين:

واحدة: عن أطفال بيــت لحم المقتوليـــن.. والقائلة: "«صَوْتٌ سُـمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيـــلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ»" (مت ٢ : ١٨ مع إر ٣١ : ١٥)

والثانية: عن الرب يســـوع بعد عودته من مصر.. والقائلة: "«مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»" (مت ٢ : ١٥ مع هو ١١ : ١).

عجيـــب هو الله!!.. يـــصل إلى تحقيـــق مقاصده.. **وهو فى ملء الجلال والســـلام والثبات.. رغماً عن أى زاويـــة تســـير بها دفة الأمور.. حتى لو كانت معاكسة لهذه المقاصد.. أو مؤدية بحسب الظاهر إلى عكس هذه المقاصد.**

إنه واصل – بـــكل جلال – إلـــى غرضه الأصلـــى الـــثابت.. ومقاصده الأزلية.. رغماً عن أى شئ.. وعن كل شئ.. فيا للجلال.

مـــا ذنب هؤلاء الأطفال إذاً؟.. طبقاً لرسالة رومية (ص٥)، قد ملك الموت على الجميع – أطفالاً وغير أطفال – ذلك لأنه فى آدم يموت الجميع.. بســـيف أو غير سيف.. ومع هذا يظل هناك سر فى هذه الحادثة وغيرها.. هو "**سر الله**".. كما سيأتى ذكره فى العدد القادم بمشيئة الرب.

مات هيـــرودس.. لكن الشيطان لم يمت.. ولازالت عداوته لنســـل المرأة قائمة.

أُقتيـــد يســـوع **بالروح** إلى البرية (لو ٤ : ١).. لماذا؟.. لكى يجرب من إبليس (الشاهد السابق).

"كُـــلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ" (يع ١ : ١٤).. فيمضى بقدميه إلى التجربة.. انجذاباً لشهوة راودته.. وانصياعاً لإرادة ذاتية ســـاكنته.. أما ابن الإنسان القدوس فحاشا أن يكون هذا منواله.

إنه يـــمضى إلى البرية ليُجرَّب.. ولكن انقياداً بالروح القدس.. عجيب!!.. أيقوده الروح إلى التجربة؟.. نعم.. لماذا؟.. لكى يُثبت نجاحه.

فعندما ســـمح الله للشيطان بتجربة ابن الإنســـان، كان واثقاً وثوقاً تاماً من نـــجاحه نجاحاً باهراً.. ليُظهر **كماله المطلق** أمام كافة الخلائق.. ولينال ابن الإنسان بذلك المستند الموثَّق، **والشهادة الإلهية** (وليست الدراسية، أو الجامعية، أو العالمية)

التى تؤهله ليموت من أجل الجميع على الصليب.

ونلاحظ أن الشيـــطان لم يطلب وضع الرب فى الغربال مثل التلاميذ.. لا طلب الإذن بذلك، ولا أخذه.. لماذا؟

لأن أحد أغراض الله من الوضع فى الغربال، هو التنقيـــة من الشوائب.. الأمر البعيد تماماً عن ابن الإنسان القدوس.

لـــكن علـــى الـــعكس.. طلب الشيـــطان الإذن بتجربته – وأَخَذَه – وكان لـــمحاولة **إدخال** هذه الشوائب إليه – عن طريق تجربته – لا **لتنقيته** من الشوائب – عن طريق غربلته.

فإن دخلته شائبة – أو حتى رائحة الخطية – ســـقط.. واندرج بذلك ضمن رعايا رئيس سلطان الهواء.. "عاملاً مشيئات الجسد والأفكار" (أف٢:٣،٣).. وأثبت الشيطان بذلك أن الإنســـان الثانى (يسوع)، لا يختلف عن الإنسان الأول (آدم)، أو غيره.

فإن كان الشيطان قد فشل فى القضاء عليه فعلياً – بقتل أطفال بيت لحم – فها هو يحاول الآن إســـقاطه فى الخطية.. فيكون بذلك قد سحق نسل المرأة أدبياً.. ولا حاجة بعد ذلك لســـحق عقبه حرفياً.. إذ سيموت حينئذ تلقائياً – كباقى البشر – كنتيجة حتمية لسقوطه.. لا كحمل الله "الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو ١:٢٩).

ومتى مات المســـيح ميتة حتمية، نتيجة خطية ارتكبها.. يكون الشيطان – دون أن يـــتكبد مشقة قتله – قد ســـحق مقدَّماً – وبالتداعى المنطقى – عقب نســـل الـــمرأة فعلياً.. من بعيد لبعيد.. وتكون المعركة قد انتهت قبل أن تبدأ.. وحُرِق عمل الصليب قبل أن يحدث.. وتلاشت الكفارة دون أن تبسط مظلتها.

لم يَسقُط ابن الإنسان فى التجربة.. الذى سقط هو الشيطان.

وقد سـقط على الصخر.. وكل من سـقط على هذا الصخر يـترضض (مت٢١: ٤٤).. وذلك لحين سقوط الصخر عليه فيسحقه (الشاهد السابق).

لـقد ترضض الشيـطان حيـنئذ.. لكنه لم يـكتف.. فـ"فَارَقَهُ إِلَى حِيـنٍ" (لـو٤: ١٣).. عازماً على العودة إليه مرة أخرى.. ليَسقُط نسلُ المرأة - **كالصخر** - على الشيطان - **كالحية القديمة** - فى الموقعة الفاصلة، **فيسحق رأسها**.

والرائع أن الآب السـماوى كان قد أعلن نتيـجة الإمتحان - بصوت من السـماء - قبل التجربة مباشرة.. لأنه الوحيد الذى يعرف الابن - **كالابن** - كمال المعرفة (مت١١: ٢٧).. ويـوقن من نجاحه - **كإنسـان** - تمام اليقين.. إذ انفتحت السـماء قبل التجربة.. وصوت منها (مر١: ١١)، يذيع على لسان الأب: "« هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُـرِرْتُ»" (مت٣: ١٧).. وأنه الوحيد الذى "مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (إش٥٣: ١٠)..

وإذ فشل الشيـطان - **كالحية** - فى الإيقاع بابن الإنسـان القدوس، أدبياً، طور هجومه - **كالأسد** - للمواجهة الصريحة.

وقبل أن تتم هذه الـمواجهة، كانت هناك - مثلما يـحدث فى الحروب - مناورات قبل المعركة.

ولديـنا مناورتان لمحاولة قتل ابن الإنسـان - حرفياً -.. إن نجحت كان بها.. وإلا فمنها يـستطيـع العدو أن يـعرف إمكانيات خصمه.. ونقاط ضعفه.. وثغرات دفاعه.

الأولـى: "فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ.... فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْـمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةَ الْجَبَلِ.... حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ (بالطبع بإيعاز من إبـليس)" (لو ٤ : ٢٨، ٢٩).. كان الشيطان قد فشل فى جعل يسوع يطرح نفسه من

فوق جناح الـهيكل (مت ٤ : ٦).. بارتفاع ١٣٥ متر.. فأوكل المهمة لـرواد المجمع.. لكن يسوع "جَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى" (الشاهد السابق).

و**الثانية**: رفع اليهود (بإيعاز من إبليس أيضاً) "حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ" (يو ٨ : ٥٩).

أتت ساعة الصفر.. لبدء المعركة.. بالقبض عليه فى بستان جثيمانى (مت٢٦:٣٦-٤٦).. فتجمعت جموع الشعب، مؤازرة بعسكر الرومان (جند الهيكل - لو٢٢:٥٢)، مدفوعة بالروح الذى يعمل فيهم (أف٢:٢ & يو١٣:٢)، وبإرشاد يهوذا (مت٢٦:٤٧-٥٠)، وأخذت السيد "مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ" (أع٢:٢٣).. كلص (مت٢٦:٥٥).. لتنفيذ حكم البشر عليه.. فى **يوم البشر** (٢كو٤:٣).. فى ساعة من أحلك ساعات "أزمنة الأمم".. ألا وهى **ساعة "سُلْطَانُ الظُّلْمَةِ"** (لو٢٢:٥٣)، وأتباعه.. ليحاكموا السيد.. أمام السلطة الدينية.. والسلطة الرومانية.. فيحكمون عليه بالموت صلباً (يو١٩:١٥).. على رابية الجلجثة (يو١٩:١٧).. حيث صُلب (يو١٩:١٨).

لكن من الجانب الإلهى - عندما ذاق المسيح الموت - لم يذقه كمجرم.. أو كفاعل شر (يو١٨:٣٠ & ١ بط٤:١٥).. أو كلص.. أو كمستحق للموت.. أو كمانع لدفع الجزية لقيصر (لو٢٣:٢).. أو كشارع فى نقض الهيكل (مر١٤:٥٨).. كما ادَّعى عليه مسلموه.. بل ذاق "**بِنِعْمَةِ اللهِ** الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عب٢:٩).

وكما لو كان الشيطان - بصلب ابن الإنسان - قد انتصر.. هكذا ظن فى ساعات الصلب الأولى.. وهو يسحق عقب نسل المرأة.. لكن المسيح وهو يموت موتاً كفارياً فى ساعات الصلب الأخيرة.. متحملاً فيها دينونة الله العادلة على الخطية (إش٥٣:٥،٦ & رو٨:٣).. حاملاً آثام كثيرين (إش٥٣:٦،١٢).. مكفراً عنها (رو٣:٢٥ & عب١:١٧)، إنما كان يسحق رأس الحية، سحقاً مبيناً.. ساحباً

البساط من تحت قدميها.. آخذاً منها قهراً صك الموت (كو٢:١٤).. الذى أرهبت به من عاشوا قبل الصليب.. تحت الناموس.. "الَّذِينَ - **خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ** (كعقوبة للناموس) - كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ (عبودية الناموس)" (عب٢:١٥).

لقد سبق أن قيدّ الرب لإبليس على الجبل.. يوم التجربة.. وشلّ – أدبياً – حركته.. مرضضاً إياه[٢٨].

ثم ها هو يسحق – فعلياً – رأسه سحقاً.. ويبيده إبادة.. فى الصليب.. "لِكَيْ **يُبِيدَ** بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ" (عب٢:١٤).. لينهب بعد ذلك أمتعته (مت١٢:٢٩).. أى سباياه، ومن استعبدهم من البشر.

لقد "جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا (أى أعلن على الملأ جهارًا إفلاسهم وخلوّ جعبتهم)، ظَافِرًا بِهِمْ (أى منتصراً عليهم) فِيهِ (أى فى الصليب)" (كو٢:١٥).

إن حقد الشيطان قد أعماه عن أنه وهو يسحق عقب نسل المرأة، فإن نسل المرأة سوف يسحق رأسه.. بموته الكفارى.

فهل يسلِّم الشيطان بهزيمته بسهولة؟.. كلا.. لقد سُحقت رأس الحية.. فماذا بقى بعد؟.. لقد بقى جسدها (رمزياً).. وبالتالى لها القدرة على الحركة.

لذلك ففى حركة – ولا أقول جولة – تالية، مع ابن الإنسان على الأرض.. هى "صحوة الموت" كما يسمونها فى التعبير الدارج.. راح الشيطان يحدث نفسه: [لم تُحسم القضية بعد.. فما برح هناك وقت إضافى قبل إغلاق الملف.. فالعبرة بالذى يضحك أخيراً.. إنه يضحك كثيراً.. وفى يدى الورقة الخاتمة].

ثم كما لو كان يحدث الرب: [إنه كنتَ قد سحقت رأسى، فما زال فى

عروقى نبض.. وفى جسدى رمق.. أتلوَّى به وأتلوَّن.. ولو من دون رأس.. أما أنت فماذا عن جسدك؟.. واحسرتاه.. سيدفن فى القبر.. مع رأسك وعقبك جميعاً.. وسترى ما سأفعله بك خارج القبر وداخله].

فخارج القبر: نجد أنه بعد دفن السيد فى القبر، ذهب اليهود إلى بيلاطس - مدفوعين من إبليس بالطبع - "قَائِلِينَ:«يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ. فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلاً وَيَسْرِقُوهُ.... فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ" (مت ٢٧ : ٦٣ - ٦٦).. وأنَّى لجسد ميت.. خلف حجر مختوم.. وتحت حرس مدجج.. أن يفعل شيئاً.

وداخل القبر: ابتدأت جولة أخرى ضد السيد.. سدد فيهاالموت شوكته إلى جسد ابن الإنسان.. وصوَّب كافة أسلحته الفيزيائية.. والكيميائية.. والبيولوجية.. من توقف فيزيائى للأعضاء العاملة.. ومن تحلل كيميائى للأعضاء الساكنة.. ومن افتراس بيولوجى للخلايا المتبقيَة، بالفيروسات، والميكروبات، والديدان.

فشلت الأسلحة.. وانكسرت الشوكة.. واندحر العدو (الموت).. لماذا؟.. لأن "شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ" (١كو١٥:٥٦).. وهذا الجسد المسجى داخل الأكفان، خال تماماً من الخطية (١يو٣:٥)، بصفة مطلقة.. كما لم تبق عليه خطية واحدة من خطايانا التى وضعت عليه (إش٥٣:٦).. إذ سدد حسابها كاملاً (مز٦٩:٤ & يو١٩:٣٠).

لذلك كلما كان الموت يحاول غرس شوكته فى الجسد القدوس، كانت تتكسر مدحورة.. وترتد خائبة.. وتبوء مخذولة.

ثلاثة أيام فى القبر كانت تدور خلالها - من وراء الحجر.. والختوم.. والحراس.. والتلاميذ.. واليهود.. والبشر.. والكون كله - أشرس محاولة لاقتحام

قلعة الجسد القدوس، المحصنة **بالكمال المطلق**.. فتندحر جميعها فى هزيمة فاحشة.. وتنتهى المعركة بانتصار الجسد المسجى.. بلا طَوْلٍ ولا قوة.. إلا قوة قداسته (رو ١:٤).. ليقوم ابن الإنسان "نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ" (أع٢:٢٤).. ليتم ما قاله بالنبوة: "لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ (قدوسك) يَرَى فَسَادًا" (مز١٦:١٠ & أع٢:٢٧).

يقوم المسيح فى اليوم الثالث للصلب.. وهو الأول للأسبوع الجديد.. و**الثامن** للأسبوع القديم - كما سبق ذكره - منتصراً على القبر والموت.. على الهاوية والفساد.. وكما أباد - **بموته** - إبليس.. فإنه أبطل - **بقيامته** - الموت.. ناقضاً أوجاعه.. هازماً إياه فى عقر داره.. منيراً - بقيامته - الحياة والخلود وعدم الفساد (٢ تى١:١٠)[٢٩].

وإن كانت آمال أحبائه قد خابت - حسب الظاهر - فى بداية الأمر - إلا أن نهاية الأمر كانت خيراً من بدايته.

والخصم قد ظنَّ ... بأنه ظفر
إذ دُفن الرب يسوع ... وخُتم الحجر

فخابت الآمال ... فى ظاهر الأمر
لكن رئيس الحياة ... قام من القبر

فأبطل الموت ... بالموت وأنار
لنا الحياة والخلود ... المبدع الأنوار

وهكذا، إن كانت العصا الرمزية - بموت المسيح - قد **طُرحت أرضاً** متيحة الفرصة للحية، لسحق عقبه.. فإنها - بقيامته - **قد عادت إلى يد موسى ثانية** - بلغة الرمز.. أو فى واقع الحال قد عاد السلطان المباشر إلى يد الله.. وذلك

بقيامة المسـيح.. وهى عودة جزئية.. ذلك لاستمرار التدبير السادس.. إلى أن يعود السـلطان كلياً إلى يد الله.. عندما "تُكَمَّلَ أَزْمِنَةُ الأُمَمِ" (لو ٢١:٢٤).. وتنتهى بانتهاء التدبير السادس.. ليبدأ بعد ذلك التدبير السابع.

إن تلك الحيـاة المباركة بطولها - الذى لا تكفى كتب العالم لتسـجيلها - بـدءاً من الـمذود.. وطوال رحلـة معاناة "رَجُلُ الأَوْجَاعِ وَمُخْتَبِرُ الْـحَزَنِ" (إش٥٣:٣).. وصولاً به إلى الصلب والدفن.. متحملاً الآلام الجسدية.. والكفارية.. إن هى إلا **بداية الأمر**.

أما **نهاية الأمر** - بالنسـبة لرحلة - أو بالحرى ملحمة - التجسد، فكانت قيامته المجيدة (مت٢٨:٦).. وصعوده إلى السماء (لو٢٤:٥١).. وجلوسه عن يمين العظمة فى السـماويـات (أف١:٢٠).. "مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ" (عب٢:٩).. كابن الإنسان.

إنها الورقة الأخيرة - لرحلة التجسـد - والتى احتفظ بها الله لنفسه.. أو ورقة اليوم الثامن.. يوم القيامة، لابن الإنسان.. ولجميع تابعيه.

وهكذا نجد أن "نِهَايَـةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ" (جا٧:٨).. وكل الأشياء - بما فيـها الصليب، والموت.. والدفن - قد عملت للخير **لمن أحب**.. وقال عن نفسـه "وَلكِنْ لِيَـفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي **أُحِبُّ الآبَ**، وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هكَذَا أَفْعَلُ" (يو١٤:٣١).. وبنفس القياس "تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ **يُحِبُّونَ** اللهَ" (رو٨:٢٨).

هذا وإن كانت هذه هى ورقة اليوم الثامن؛ يوم القيامة لسـيدنا، ووصوله إلى المجد.. إلا أنها ورقة جزئية.. وليست خاتمة الأوراق.. إذ تصل فقط إلى نهاية ملحمة التجسـد على الأرض.. أما عن حيـاته الآن "فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي" (عب١:٣)، فلها أوراق أخرى تختص بما هو آت.. فى تدبير قادم.

فإن كان الأمم فى زمانهم (لو٢١:٢٤)، قد تسـيَّدوا - بسـماح من الله -

ســالبين حق المسيح كابن الإنسان فى **الأرض**.. وحقه كابن داود فى **الملك**.. إلا أنه لابد له أن يسترد كل حقوقه كاملة غير منقوصة فى التدبير السابع[٣٠].

وإن كــانت الحية القديمة – بعد سحق رأسها – لاتزال حرة تعيث فساداً.. إلا أن ابن الإنســـان.. نسل المرأة.. سينقض أعمال إبليس كلها (١يو٣:٨).. ابتداءاً من شفاء جميــع المتســلط عليــهم إبليس (أع١٠:٣٨).. وقت تجســده له المجد.. ومروراً بالقيامة.. ووصولاً إلى طرح إبليس ثلاث مرات.

الأولى : من السماء إلى الأرض (رؤ ١٢ : ٧ – ٩).

والثانية : من الأرض إلى الهاوية (رؤ ٢٠ : ١ – ٣).

والثالثة : من الهاوية إلى بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٠).

(وهذا ما ســيــأتى ذكره – بمشيئة الرب – فى عدد قادم.. بعنوان حقوق المسيح جـ ٤).

ولأن الشئ بالشئ يــذكر.. ففى الميــثولوجيــا المصريــــة القديمة، كان " أبوفيس" **الأفعى الشريرة** تعادى "رع" (الشمس)؛ **إله الخير**.

وتحكى الأســـطورة أن " أبوفيس" كان فى معارك دائمة بينه وبين "رع".. فكان يــهاجم مركب الشمس ليــمنعه من الإبحار نحو الأفق.. وينهزم "رع" بمغيب الـــشمس.. ليــعود منتصراً فى صباح اليــوم التالى.. بشروق الشمس.. وهكذا فى دورات متتالية، ينتصر فيها الشر.. ثم الخير.

وأحيــاناً تكون "لأبوفيــس" الـــيــد الطولى، فتحدث العواصف والزلازل والرعود.. فإذا انتصر ابتلع الشمس نفســـها فيحدث الكسوف.. لكن حراس مركب الشمس المصاحبيــن لـ "رع"، يــهزمونه ســريعاً.. فينتصر "رع" بعد ذلك، وتعود الشمس – فى مركبها – تسعى فى مدارها.

أما الــتخلـــص النهائى من أبوفيــس فيــتم من خلال وضعه تحت القدم اليسرى.. وتكبيله بالقيود.. وإشعال النار فيه.

هل اقتبس الكتاب المقدس من هذه الأساطير، والمعتقدات الوثنية؟.. حاشا بالطبع.. إذ به "تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط١:٢١).

ما الــعبارة إذاً؟.. هى الإشارة إلى أن ما ورد فى الكتاب المقدس – وهو حقائق، لا أساطير – يمكن أن يقبله عقل الإنسان.. حتى لو كان وثنياً.

وجـدير بالذكر أيضاً، أن كهنة "رع" – فى طقس سنوى – " كانوا يقومون – من أجل إبعاد أبوفيس، واتقاءً لشرّه – بإحراق تماثيله، لحماية الجميع من نفوذه.. لمدة شهر.

المثال الأخير

"وَلَكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ".

(١ كو ١٥ : ٢٠)

بعد كلامنا عن المثال العظيم - وإن كان مختصراً نسبة إلى كماله - يكون من الصعب أن نتناول أمثلة أخرى.. إلا أن الترتيب التاريخي للأحداث يلزمنا بذلك.. لاسيما وأن هذا المثال الأخير، يأتي حذو المثال العظيم، وبعده.

ما هو؟.. إنه **الفصل الأخير** من حياة المؤمن.. و**الحلقة الأخيرة** من سلسلة كل الأشياء التى تعمل معاً للخير للذين يحبون الله.. و**الورقة الأخيرة** التي يلوح بها الرب مشجعاً تابعيه، أنه وإن اجتازوا حلقات أليمة فى حياتهم، فمازلت هناك حلقة أخيرة.. في الحياة.. أو بعد الحياة.

أبعد الحياة حلقات أخرى؟.. نعم على قياس ما حدث لسيدنا ومثالنا العظيم.

وحتى يكون كلامنا شاملاً لجميع المؤمنين، نتناول أقسى الأمثلة.. حتى إن انطبق الكلام عليها، انطبق على ما هو أقل وطأة.

إنهم الشهداء من أجل المسيح.. وحتى يكون كلامنا كتابياً، نأخذ مثالاً كتابياً.. وهو مثال صارخ.. إذ هو لواحد - **كشخص** - هو أعظم المولودين من النساء (يو ١١:١١) - **وكروحاني**- هو الذى "مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (لو ١٥:١) - **وكشاهد للمسيح** - هو من أعظم الشهود.. وأول من نادى بأن القائم في وسطهم هو المسيا (يو ٢٦:١).. بل قد شهد له - بأسلوبه - لأمه أليصابات، وهو في بطنها (لو ٤٢:١).. فجعلها تصف مطوبة الأجيال القادمة

لزيارتها - مريم - بـ "أُمُّ رَبِّي" (لو ١:٤٣).

إنه يوحنا المعمدان الذي اعتزل العالم.. كارزاً في برية اليهودية (مت٣:١).. واكتفى بالقوت، جراداً وعسلاً برياً (مت٣:٤).. وبالكسوة، جلداً ووبراً جملياً (الشاهد السابق).

وبسبب شهادته للحق لدى هيرودس الملك (مت٦:١٨)، أوثقه في السجن (مر٦:١٧).. ومن التاريخ نعلم أنه كان بئراً عميقة داخل أسوار قصره، شمال شرق البحر الميت.

فلما حنقت عليه هيروديا - بسبب شهادته - ولم تَقْوَ أن تقتله، استثمرت فرصة الحفل الذي أقامه هيرودس يوم مولده.. ورقصت فيه ابنتها (سالومى بحسب يوسيفوس) وسرَّت الملك والمتكئين.. فأوعزت إلى ابنتها أن تطلب من الملك **حالاً** رأس يوحنا على طبق (مر٦: ١٩-٢٥).

وعن كلمة **حالاً**، يعلق قداسة الأب "**متى المسكين**": [أن سيكولوجية الشيطان لا تحتمل البطء في تنفيذ القتل].. وكما سبقت الإشارة.. فهو (الشيطان) فور أن يأخذ الإذن بالأذى، لا يترك فرصة في الوقت.. ولا ثغرة في الموضوع.

فللوقت أرسل الملك سيافاً، فقطع رأس يوحنا في السجن، وأتى به على طبق.. فأعطاه للصبية.. والصبية لأمها (مر٦: ٢٧،٢٨).

وبعين الخيال، أرى أن رأس يوحنا المقطوع، كان فقرة الترفيه الرئيسية، في هذا الحفل الماجن.. ومادة سخرية "أَغَانِيُّ شَرَّابِي الْمُسْكِرِ".. كما حدث مع سيدنا له المجد (مز٦٩:١٢).

ثلاث حيَّات.. المرأة.. وابنتها.. والحية القديمة - لا حيَّة واحدة - تعربد في المشهد.. في حين رجل الله **مقطوع الرأس**.. وموسى - بلغة الرمز - **منزو في**

خوف.. والله **محتجب**.. صحيح أنه يدير المشهد كله.. ولكن من وراء الستار.

وتكتب الأستاذة "**فاطمة ناعوت**":

[قانون الطائرة الورقية دائماً خارج الصندوق. إبداعها مرهون بتحررها من قيود القضبان الحديدية (كالقطار مثلاً). لكنها **في نهاية الأمر تحترم قانون الطفلة التي تمسك بقوادها. حريتها غير مطلقة**. لأن الحرية المطلقة عبث وعدمية وضياع]. (المصري اليوم ١٤/٦/٢٠١٧).

ويــــذكرني قولها هذا، بما هو مســـموح به للشيطان.. بأنه **ليس ســـماحاً مطلقاً**.. فهو يـــعربد.. ولكن في حدود المســـموح به له من الله.. ففي نهاية الأمر، عليه - بلغة سيادتها - أن يحترم قانون من يمسك بخيط الطائرة.. أو بالحرى **يلتزم بقانون من يمسك بالزمام - أي الله - فلا يفلت منه الزمام، أياً كان الأمر**.

رفع تلاميذ يوحنا الجسد - بدون رأس - ودفنوه في قبر (مر٦: ٢٩).

أهكذا تكون نهايـــــة واحد من أعظم الشهود للمســـيح.. هو من قيل عنه: "**هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ** الطَّرِيقَ أَمَامِي" (ملا٣:١ & مت١١:١٠).

إنه **ســـــر الله** الذي سيُكشف قريباً.. وإلى أن يكشف فهناك **سر آخر** قد تم كشفه.. ألا وهو ما كتب عنه الرســـول بولس قائلاً: "هُوَذَا **ســـرٌّ** أَقُولُهُ لَكُمْ: **لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّـــرُ**، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، **فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي** فَسَادٍ، **وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ**" (١كو١٥: ٥١،٥٢).

نعم.. ســـيُقام الأموات - ولو مقطوعو الرؤوس - بأجساد مجيدة كاملة.. كقول الرســــول: "وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ **كَامِلَةً** بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَســُوعَ الْمَسِيحِ" (١تس٥:٢٣).. بمعنى أن الأجساد ستقوم كاملة.. والنفوس ستكون بلا لوم.. عند مجيء ربنا يسوع المسيح.

أين رأسك المقطوع أيها الشهيد - أ كان المعمدان.. أم الرسول بولس.. أم غيرهما من الشهداء؟.. إني أسبق الزمن وأراه **قد عاد إلى رأسك ثانية.. وفوقه إكليل الحياة** (رؤ٢:١٠).. عند مجيء الرب يسوع المسيح.

هذا عدا مليارات المؤمنين على مر العصور.. لم يستشهدوا لكنهم رقدوا.. إن **في سلام**.. وإن **بحادث أليم**.. وإن **بمرض قاتل**.. وهلم جرا.

مئات وآلاف السنين مرت على رقادهم.. غابت فيها أجسادهم تحت الثرى.. وعبث الفساد بأعضائهم.. وتبعثرت ذرّاتهم.. فهل هي النهاية؟

حاشا.. لقد عربدت الحية ٤٠٠ سنة[٣١] هي مدة عبودية الشعب في أرض مصر (تك١٥:١٣ & أع٧:٦).. فى التدبير **الرابع**.. لكن في النهاية أُمسكت من ذنبها - بلغة الرمز - وعادت العصا إلى يد موسى.. أو بالحري السلطان المباشر ليد الله **بخروج الشعب من مصر**.. وبدء التدبير **الخامس** فردي الرقم.. مما يؤكد أن خيوط الأحداث كلها في يد الله.. ولو من وراء الستار.. فإن ظهر الله في المشهد، باشر سلطانه الفوري في التعامل مع الحية.

هكذا إن عربد الفساد في أجساد القديسين الآن.. فإن هي إلا فترة مؤقتة يُمسك فيها **الفساد** - لا الحية - **بيد الله** - لا بيد موسى - يد الله.. الذي بحسب عمل استطاعته يخضع لنفسه كل شيء (في٣:٢١).. حتى إقامة الموتى من القبور، بعد فساد أجسادهم.. إذ أنه "أَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ (عدم الفساد)" (٢تي١:١٠).

لقد لوح الرب لتلاميذه بورقة القيامة.. وكشف بشائرها عندما أظهر نفسه لتلاميذه حياً ببراهين كثيرة (أع١:٣).. معلناً أن هذه هي **الحلقة الأخيرة**.. مؤكداً فيها انتصاره على الموت والقبر.. على الهاوية والفساد.. وإذ هو حي، تتم مقولته: "**إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ** سَتَحْيَوْنَ" (يو١٤:١٩).. لأن "مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ **فَسَيَحْيَا**، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي **فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ**" (يو١١:٢٥).. سيقوم الراقدون كما

قام المسـيح، تتميماً لقول الرسـول أيضاً: "وَلَكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ **بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ**" (اكو١٥:٢٠).

فإن وصل خسـران الأوراق التى بين أيدينا إلى خسـران الحياة نفسها – بالموت – فمازالت هناك **الورقة الأخيرة؛ ورقة القيامة.**

فعند مجيئه، يسمع جميع الذين فى القبور صوته.. فيخرج فريقا البشر أحياء بعد موات.. الذين فعلوا الصالحات في دورهم، في **قيامة الحياة** (يو٥:٢٩ & رؤ٢٠:٦).. والذين فعلوا السيئات في دورهم، في **قيامة الدينونة** (يو٥:٢٩ & رؤ٢٠:١٢).

يقول الرب لمرثا "«**سَيَقُومُ أَخُوكِ**»" (يو ١١:٢٣).. وعلى ذات القياس: **سيقوم المعمدان.. وسيقوم بولس.. وسيقوم الشهداء.. وسيقوم الراقدون** (اتس٤:١٥)؛ "**الأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ**" (١ تس٤:١٦).. بأجساد مجيدة.. **ونحن الأحياء نتغير**.. إلى صورة جسد مجد الرب (في٣:٢١).

ونرى في بقرات فرعون صورة معبِّرة.. لقد ابتلعت البقرات القبيحة ورقيقة اللحم – في حلمه – البقرات الحسنة وسمينة اللحم (تك٤١: ١-٧).. إشارة إلى المجاعة القادمة على مصر، والتى ستبتلع سنى الشبع في ذلك الحين.. (ومثلها السنابل).

وما هذا إلا صورة واضحة للواقع المعايش، في يومنا هذا.. وما قبله.. وما بعده.. فالقبح يبتلع الجمال.. والهزال يبتلع الحيوية.. والضعف يبتلع القوة.. والشيخوخة تبتلع الشباب.. والمرض يبتلع الصحة.. والإرهاب يبتلع الأمان.. والحروب تبتلع السلام.. وآخر الكل، **الموت يبتلع الحياة.**

وهكذا تكتسح البقرات الهزيلة كل مناحي الحياة.. وتبتلع في جوفها جميع

الأوراق التي في حوزة الأحيـاء.. حتى آخر ورقة، وهي ورقة الحيـاة نفسـها.. فياللمحنة!

لكنها ليسـت النهاية.. لأن "**نهايـة** أمر خير من بدايته".. حتى وإن كانت البدايـة **محنة**.. كيـف؟.. هناك ورقة أخيـرة مازالت في جعبة البقرات القوية.. عجيـب!.. أبعد ابتلاعها في جوف البقرات الهزيلة هناك رجاء؟.. نعم، إنه رجاء من ابتلـعهم الموت.. وأطبقت عليـهم الهاويـة (القبور) فاها (مز٦٩:١٥).. ودب الفساد في أجسادهم.. نعم، لأن "عِنْدَ الرَّبِّ السَّيِّدِ لِلْمَوْتِ **مَخَارِجُ**" (مز٦٨:٢٠).

فـعندما ينادي السيد (يو٥:٢٨)، ستُستنهَضُ البقرات القوية.. لتقوم – بلغة الرمز– من بطون البقرات الهزيـلة.. وفي جعبتها ورقة القيامة.. تلوح بها.. فتبتلع **بقرات القيامة القوية، البقرات الهزيلة**؛ بقرات الموت والفسـاد الهزيلة.. في إعادة لـلأمور إلى نصابها.. والأحوال إلى أوضاعها الطبيعية.. فالأصل أن القوي هو من يبتلع الضعيف.. وليس العكس.

ولما كانت الأحوال – بسـبب سقوط الإنسان – معكوسة.. احتار الناس.. وتساءل الشاعر "**صلاح جاهين**":

خرج ابن آدم من التراب..	قلـت يـاه
رجع آدم لـلـتراب..	قلـت يـاه
تراب بـيـحيـا..	وحي بيصير تراب
الأصل هو الـموت..	والـلا الـحيـاة

ولأن الأصل هو الحيـاة (مت٢٢:٣٢)، فإن **الحيـاة هي التي سـتبتلع الموت**.. "فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ (في إشعيـاء٢٥:٨): «**ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ**»" (١ كو١٥:٥٤).

فتصدح من المفديـــيـــن إذ ذاك، هذه الترنيمة: "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَـا هَاوِيَـةُ؟" (١كو١٥:٥٥).. وأيــن أنت يا قبر.. وأين أنت يا من أُعطيت سـلـطان الـموت (عب٢:١٤).. لقد وصلت في صولتك إلى رقاب العباد.. وهذا منوالك "مِنَ الْبَدْءِ" (يو٨:٤٤).. لاسيما رقاب القديسين.. فتقطعها بالسيف.. ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.. مختطفاً من الجميع آخر ورقة يمتلكونها.

إلا أن **الورقة الأخيـرة**، هي في يد ذاك الذي قال: "أَنا الْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي **مَفَاتِيحُ** الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ١:١٨).

فإن كان الله قد سـمح لك أيها الشيطان بأوراق، هذا عددها.. وصولاً إلى رقاب العباد.. وإغلاق القبر عليـهم، بما يفوق مصاريع الحديد والنحاس؛ ألا وهي مصاريع التحلل والفساد.. فإن هناك من له **مفاتيح** الهاوية والموت والفساد.. "الَّذِي **يَـفْتَحُ** وَلاَ أَحَدٌ يُـغْلِقُ، وَيُـغْلِقُ وَلاَ أَحَدٌ يَفْتَحُ" (رؤ٣:٧).. لا أحد.. بشراً كان.. أم ملاكاً.. أم شيطاناً.. وهو يحوز في جعبته أوراقاً لا تنتهي.. إن سمح بسقوط بعض منها في يدك، **فإن الكلمة الأخيرة هي له.. والورقة الأخيرة هي في يده..** يبرزها، ولكن في وقته هو (إش٦٠:٢٢).

وبالورقة الأخيرة، ينادي على سجناء القبور.. وأسرى الفساد.. ومبعثري الأجســـاد.. فيقوم الأموات في المسيح عديمي فساد.. ونحن نتغير.. في لحظة في طرفة عين (١كو١٥:٥٢).. إذاً:

أيــن الشوكة يا موت ... وغلـبة الـــهاويـة
فهما قمنا بــــانتصار ... لـلـــحيــاة الباقيـة

ويوجه المرنم كلامه للشيطان

حارب وأعمل جهدك ... وصوب الــســهام
لكنني بقوة يـــســوع ... غالــب علــى الدوام

وأقتبس مما جاء في العدد السادس من هذه السلسلة؛ بعنوان "**على الشجوية**"، ما نصه:

[وتكريماً للشهداء، فإن الجنود وقياداتهم يزورون في المناسبات، قبر الجندي المجهول.. ويصطفون في "الطابور".. لكن **عددهم ناقص لغياب الشهداء**.. ولابد من التمام.. كيف يُستكمل العدد؟.. عندئذ يعزف حامل "البروجي: " **نوبة رجوعَ الشهيد**".. منادياً عليه من وراء القبر.. **عُد إلى زملائك**.. واصطف بينهم.. أوامر عسكرية لا تُعصى.. عجيب!!.. فهل يعود الشهيد حقاً؟.. على أنه إن لم يُلَبِّ النداء فعلاً.. فهو حتماً ملبيه.. ولكن **طيفاً هائماً**.. يُحلق فوق زملائه.. حتى يجد مكانه الخاوي في "الطابور".. فينخرط فيه.. مكملاً عددهم.. فتصير الكلمة العسكرية.. "**تمام يا فندم**".. يقولها رئيس "الطابور" إلى القائد الأعلى].

[هكذا، سوف يُستكمل العدد في "الطابور السماوي" قريباً.. عند " **نوبة رجوع الراقدين**".. أو بالحري "**رجوع المسيح**".. ومعه **أرواح الراقدين**.. عند "**البوق الأخير**" (١ كو١٥:٥٢).. "**بوق الله**" (١ تس٤:١٦).. وليس "بروجي الجيش".. وقت أن يدوي "**صوت رئيس الملائكة**".. وليس صوت "الشاويش".. "**فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ**" (اكو١٥:٥٢).. "فَنَجْمَعُ" ونصطف "**جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ**"(اتس٤:١٧).. "يُتَمِّمُ" علينا.. فيجد العدد كاملاً.. " **لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ**" (إش٤٠:٢٦).. يتقدمنا عندئذ " **كرئيس الخلاص**" (عب٢:١٠).. في "مارشٍ" كونى مهيب.. مخترقاً معنا الفضاء والمجرّات.. ومنطلقاً بنا عبر السماوات والأفلاك.. "**فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ**" (١ كو١٥:٥٢).. إلى "بيت الآب" (يو١٤:٢).. وبوصولنا، يعطي **التمام لله**.. قائلاً: "«**هَا أَنَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ اللهُ**»" (عب٢:١٣).. "ليَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ: «**إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا**»" (يو١٨:٩)].

[حينئذ.. لا تصير الكلمة العسـكرية "تمام يا فندم".. مشيرةً إلى أن العدد "تمام".. بل "تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟»" (١كو١٥: ٥٤،٥٥).. مفيدةً بأن كل شيءٍ "**تمام**".. حتى الموت انتهى أمره - نعزفها على القيثارات الذهبية التى سنتسلمها للتو.. هاتفين: "وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١كو١٥:٥٧)].

بعد رحيل زوجها مباشرة، كان عليها أن تقف على خشبة المسرح لتغنى.. فسألها الناس: كيف ستتمكنين من الغناء.. فأجابتهم "فيروز" (مع حفظ الألقاب - نجمة، أو فنانة، أو مطربة)

سـألونى الناس عنك يا حبيبى — كتبوا المكاتيب أخذها الهوا
بيعزّ علىَّ اغنى يا حبيبى — ولأول مرة **مابنكون سوا**

سـألونى الناس عنك سألونى — قلتلُّن **راجع** لا تلومونى
غمضت عيونى خوفى لَ الناس — يشوفوك مخبىْ ف عيونى

فمع غيابه غنت - **على رجاء** - أنه "**راجع**".. أين هو حتى يرجع؟.. تقول للناس: ليس هو فى القبر.. بل **مدفون بروحه فى عيونى**.. لهذا فهو **حتماً راجع**.. إن لم يكن فى هذه الحفلة.. ففى الحفلة القادمة.. أو ما بعدها.. فلا تلومونى إن غَنَّيت بدون وجوده الآن.

كم يكون الحال إذاً؟.. مع من أرواحهم **فى الفردوس**.. وليست مخبوءة فى عين، أو غير عين.

هم حتماً راجعون.. ويوماً عائدون..للتلاقى على السحاب.. فلا يلومنّا أحد، إن عشنا **هنا** على **الرجاء نغنى**.. ولو "**على الشَّجَوِيَّة**" (حب ٣:١)، ترنيمة **الغربة والانتظار**.. إلى أن نغنى **هناك** على "**ذوات الأوتار**" (مز ٩٢:١)، ترنيمة

الغلبة والانتصار (١ كو ١٥:٥٥).

قـــــــوموا ورنموا	يـــا معشـــر الأحيـــا
ورددوا بــــــــفرح	ترنيـــمة الـــــفدا
لــكنَّ فى الـــســما	ترنيـــمة الـــظفر
إذ نغلـــبـــن خصمنا	ويـــنتهى الـــــسفر

....

يـــبطل شدوى عندما	يُســـحق كوز الذهب
لكن شدوى فى السما	يـــبقى فيـــالـــطربى

****

ملاحق

ملحق١: ترد كلمة الشر فى الكتاب بمعنيين مختلفين.

الأول: بمعنى **الخطية**.. كقول يوسف لإمرأة فوطيفار: "كَيْفَ أَصْنَعُ هذَا **الشَّرَّ** الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟" (تك٣٩:٩).

الثانى: بمعنى **الأذى**.. كقول يوسف أيضاً لإخوته: "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي **شَرًّا**، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا" (تك٥٠:٢٠).

وحيث أن قائل العبارتين شخص واحد، أكَّد لنا ذلك، أنهما بالفعل معنيان. ويستطيع القارئ للكتاب أن يميز بين النوعين من سياق الكلام.

ملحق٢: راجع العدد الخامس عشر من هذه السلسلة بعنوان: "محطة الأتوبيس".

ملحق٣: راجع العدد الثانى من هذه السلسلة، بعنوان: "لماذا أنا بالذات؟".. وفيه أن الشوكة تختلف عن الصليب فهى إلزامية.. ومدعاة للاتضاع.. بينما الصليب اختياري.. ومدعاة للفخر.

ملحق٤: لم يمنح الله السلطان لآدم كيفما اتفق، وإنما أهَّله - تكويناً - للإناطة بهذا السلطان وممارسته.. ولأن الصورة تعنى السلطان.. لذلك بعد أن "قَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى **صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا** (أردف)، **فَيَتَسَلَّطُونَ** عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ..إلخ" (تك١:٢٦).

وما يؤكد أن الصورة تفيد السلطان، هو ما أشار الرب إليه فى رده على

من جاءوا يجربونه قائلين له: "أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟. فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ:«لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ». فَقَدَّمُوا لَـهُ دِينَارًا. فَقَالَ لَـهُمْ:«لِـمَنْ هذِهِ الـصُّورَةُ وَالْـكِتَابَةُ؟» قَالُوا لَـهُ:«لِقَيْـصَرَ». فَقَالَ لَهُمْ:«أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْـصَرَ لِقَيْـصَرَ وَمَا للهِ للهِ»" (مت٢٢:١٧-٢١).. بما يـفيـد أنه مادامت العملة المتداولة بين أيديهم.. والمعترف بها منهم، ممهورة **بصورة قيصر**.. إذاً فقيصر صاحب سلطان عليهم.. وحق له أن يأخذ الجزية منهم.

هكذا خلق الله الإنسان على **صورته**.. أى صاحب سلطان على الخليقة، بما تميز به - تكوينا - عن جميع المخلوقات، من عقل وإرادة وحرية واستقلال.. إلخ.

هذا بخلاف أن الله خلقه **كشبهه** أى ممتلكاً - فى تكوينه - الخلفية الأدبية التى تتوافق مع طبيعة الله.. من محبة للخير.. وبغض للشر.. إلخ.

وبالتالى فهو مؤهل لإدارة الخليقة بما يتفق، ليس فقط مع سلطان الله، بل أيضاً مع صفات الله الصالحة والعادلة.

ملحق٥: الخلائق التى تحت الأرض، هى الكائنات البحرية (خر٢٠:٤).

ملحق٦: كل الخلائق تسبح الله وتمجده.. ف "اَلسَّـمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ.... يُذِيعُ كَلاَمًا.... لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْـمَعُ صَوْتُهُمْ" (مز١٩:١-٣).. أى يذيعون كلاماً، بدون صوت بشرى منطوق.

والرب يـردُّ على من اعترضوا على هتاف الجموع له، يـوم دخوله أورشليم: "إِنْ سَـكَتَ هؤُلاَءِ (الهاتفون) فَالْحِجَارَةُ **تَصْرُخُ**!" (لو١٩:٤٠).. وذلـك عند مجيئه مستقبلاً بالـقوة والمجد.. كما أن "كُلُّ شَجَرِ الْحَقْلِ (سوف) **تُصَفِّقُ بِالأَيَادِي**" (إش٥٥:١٢).. "الأَنْهَارُ لِتُصَفِّقْ بِالأَيَـادِي، الْجِبَالُ لِـتُرَنِّمْ مَعًا" (مز٩٨:٨).. كيـف؟.. راجع العدد العشرين من هذه

السلسلة بعنوان: "حقوق المسيح - جزء ثان".

ملحق٧: في العدد الخامس، بعنوان: "أرى الدم"، تناولنا آية تحويل الماء إلى دم.. وما ترمز إليه.. وفي العدد العاشر، بعنوان:"ميمي بك"، تناولنا آية إصابة يد موسى بالبرص، ثم شفائها.. وما ترمز إليه.

ملحق٨: لماذا جاءت هذه الآية الأولى في الترتيب.. لكي تعطي للشعب أملاً، أنه في الحلقة الاخيرة، ستُمسك هذه الحية من ذنبها.. وما يرمز إليه ذلك.

ملحق٩: كان الرئيس الراحل "**أنور السادات**" يمسك هذه العصا في يده.. ومثله الفيلد مارشال "**برنارد مونتجمري**"؛ قائد قوات الحلفاء، في الحرب العالمية الثانية.

ملحق١٠: هي عصا هارون، لكن استخدامها الأكثر كان بيد موسى.

ملحق١١: كما يشير أيضاً إلى انسكاب الروح القدس بعد موت المسيح وقيامته وصعوده (أع٢:١٧،٢٣).

ملحق١٢: مما يؤكد أن هذه الحية، هى صورة لفرعون ذلك الزمان.. هو **اللفظ.. والفعل.. والصفة.**

١- فمن جهة **اللفظ**.. نقرأ:"كَانَتِ الْحَيَّةُ **أَحْيَلَ** جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ" (تك٣:١).. هو نفس اللفظ الذي استخدمه فرعون عندما قال لأذنابه:"هَلُمَّ **نَحْتَالُ** لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا" (خر١:١٠).. وكما لجأت الحية إلى **الحيلة** لإسقاط حواء وآدم (تك٣:٢-٥)، بمكرها (٢كو١١:٣).. لجأ فرعون **للحيلة** لإبادة الشعب.

٢- ومن جهة **الفعل**.. نقرأ:"ثُمَّ **أَمَرَ** فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلاً: «كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ **تَطْرَحُونَهُ** فِي النَّهْرِ، لكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا" (خر١:٢٢).

٣- من جهة **الصفة**.. نقرأ "إِبْلِيـــسُ.... ذَاكَ كَانَ **قَتَّالاً** لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ" (يـــو٨: ٤٠)، ومثلـــه فرعون.. كما أن إبليـــس هو "كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يـــو٨: ٤٤)، ومثله فرعون.. إذ كذب على موسى أربع مرات (خر٨: ٩، ٨: ٣٢ ، ٩: ٣٤ ، ١٠: ٢٠).. وهـــكذا كان فرعون، حية بشرية، وشيطاناً آدمياً، كأبيه الروحي **القتال الكذاب**.

ملحق١٣: لماذا ســـمح الله لفرعون باستعباد الشعب؟.. راجع أسباب الأذى السابق ذكرها، أما ما لا سبب له، فيدخل تحت عنوان "سر الله".

ملحق١٤: كما سيأتي ذكره في "باب التدابير السبعة".

ملحق١٥: لماذا من ذنبها؟.. ذلك لأن الحيـــة عندما تســـتشعر أنها ســـتنهزم أمام خصمها، لا يـــتبقى لها من حيلة ســـوى واحدة من اثنتين.. فهي إما أن تتكوَّر.. فتصبح مثل الـــكرة.. جاعلـــة رأســـها في مركز هذه الكرة.. وجســـمها يلتف حول الرأس، حتى يحميه من الضربات المتوقعة.. وإما أن تقذف رأســـها بعيداً عن خصمها بســـرعة، في حركة نصف دائرية رأســـيـــة.. وبامتداد طولها.. فيصبح الرأس في لحظة هو البعيد عن الخصم، بيـــنما الذنب هو القريـــب من خصمها.. ثم تعدو خائفة أمامه.. وطالما، كانت مهزومة فإن طفلاً صغيراً لو أدركها وأمســـك بذنبها لما آذته.. ولا استدارت برأسها لكي تلدغه.. فرأسها؛ مصدر سمها - بسبب خوفها - ناء إلـــى أقصى بعد ممكن.. وتظل هكذا تجري، طالـــما باتت مهزومة مقهورة.

وهذا ما حدث منها أمام موسى، في النهاية.

ملحق١٦: ونرى هذا الضميـــر بوضوح، وقد تولد في قايين، عندما اراد أن يتبرأ من قتل أخيـــه، بقولـــه: "أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟" (تك٤: ٩).. لـــماذا أراد أن

يـتبرأ؟.. لإدراكه بالـذنب الـذي اقترفه.. من الذي أخبره بأنه مذنب: وبالـتالـي مطارد من كل من وجده (تك ٤:١٤)؟.. إنه الضميـر الذي اكتسبه، في هذا التدبير.

ملحق١٧: إن كانت الحية تُمسك من ذنبها.. فماذا عن الكلب، ومن هو على شاكلته من الوحوش.. هل من أذنيه مثل الأرنب؟.. إن الأرنب يُمسك من **أذنيه**، ذلك لأن قدميه الأماميتين قصيرتان، لا تطالان يد الذي يمسـكه.. بينما الكلب نقرأ عمن يمسـكه من أذنيه: "كَمُمْسِكٍ **أُذُنَيْ كَلْبٍ**، هكَذَا مَنْ يَعْبُرُ وَيَـتَعَرَّضُ لِـمُشَاجَرَةٍ لاَ تَعْنِيـهِ" (أم٢٦:١٧).. ذلـك لأن قدمي الكلب الأماميتين تسـتطيعان أن تطالا يد من يمسك بهما.. إذاً كيف يُمسك؟.. **من قفاه**.. ويقول الرب يسـوع عن صالبيه: "أَحَاطَتْ بِي **كِلاَبٌ**. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْـرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُـوا يَـدَيَّ وَرِجْلَـيَّ" (مز٢٢:١٦).. وعن الشيطان"خَلِّصْنِي مِنْ فَمِ **الأَسَدِ**" (مز٢٢:٢١).. وفي المسـتقبل سيقوم **الـوحش الخارج من البحر.. ومعه الوحش الخارج من الأرض** (النبي الـكذاب) (رؤ١٣:١،١١)، ليصنعا حرباً مع الجالس على الفرس (الرب يسوع المسيح) (رؤ١٩:١٩) ..هؤلاء وأولئك سيمسكون.. من أين؟.. من **أقـفيتهم** – باعتبارهم وحوشاً – مشلولي الحركة.. فاقدي الحرية.. كقول الرب بالنبوة: "تُعْطِيـنِي **أَقْفِيَةَ** أَعْدَائِي، وَمُبْغِضِيَّ **أُفْنِيهِمْ**" (مز١٨:٤٠).. والمعنى رمزي بالطبع.

إذ سـيُقبض على الوحش والنبي الكذاب (ومعهما ملك الشمال) ليُطرحا "حَـيَّيْنِ إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ بِالْكِبْرِيتِ" (رؤ١٩:٢٠).. وملوك الأرض المسـايرين للوحش وفي ركابه، سـيُقتلون "بِسَيْفِ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ" (رؤ١٩:٢١).

وبعد ذلك، من ذنبها، تمسـك الحية القديمة (أي ابليس).. لتُقيد بسـلسلة

عظيـــمة.. لتُطرح في الهاوية ألف ســنة.. تمهيداً لطرحها بعد ذلك "فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ" (رؤ٢٠:١٠).

ملحق١٨: لماذا ألف عام؟.. راجع العدد ٢١ من هذه الســلســـلة، بعنوان: "حقوق المسيح" جزء ثالث.

ملحق١٩: إضافة إلـــى ذلك، فإن للعدد ٦ معان آخرى.. منها أنه عدد النقص لأنه يـــنقص عن عدد الكمال ٧.. أيضاً هو عدد العداوة لشعب الله.. كجليات وطوله.. ونبوخذنصر وتمثاله.. والوحش وعدد اسمه.

ملحق٢٠: إســماعيـــل، هو ابن ابراهيم من هاجر (تك١٦:١٥).. ومديان، هو ابن ابراهيــم من قطُورة (تك٢٥:١،٢).. فهما أخوان.. واختلـــط نســلاهما بالزواج.. لذلك عرف الاســماعيـليــون بالمديـــانيين، والعكس صحيح (تك٣٧:٢٥،٢٨،٣٦ & تك ٣٩:١).

ملحق٢١: أيام الخليقة ســـتة، واستراح الله في اليوم السابع (تك٢:٢).. ولما كانت الخليقة الأولى قد فســدت بســقوط رأســـها؛ آدم الأول، جاء آدم الأخير (١كو١٥:٤٥)؛ الرب يســوع (١ كو١٥:٤٧)، ليكون رأس خليقة جديدة (٢كو٥:١٧).. متى بدأت؟.. بدأت بقيـــامة المســيـــح فجر الأحد؛ أول الأســبوع (مت٢٨:١) الجديد.. وهو اليوم الثامن بالنسبة لأسبوع الخليقة الأولى.. لذلك فإن عدد ٨، هو عدد القيامة.

ملحق٢٢: كيف تكون هذه النار، "نار الله"، ويســـتخدمها الشيطان؟.. إنه إن كانت هذه الـــنار هي الصواعق – وهذا هو الأغلب.. وهي ظاهرة جويـــة – فليســت هناك مشكلة في أن يكون لإبليس ســلطان عليها.. لأنه "رَئِيسِ سُلْـطَانِ الْهَوَاءِ" (أف٢:٢).. إما إن كانت ناراً مباشرة من الله – وهذا احتمال بعيد – فيكون ذلك على قياس ما ســيفعله النبي الكذاب مستقبلاً،

إذ سوف "يَصْنَعُ آيَاتٍ عَظِيمَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْعَلُ نَارًا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الأَرْضِ قُدَّامَ النَّاسِ" (رؤ١٣:١٣).. وهي بالقطع ليست صواعق، لأن الصواعق ليست آيات، بل شيئاً مألوفاً.. والكل بسماح من الله.

ملحق٢٣: راجع ضربة الشيطان للرسول بولس في (٢كو١٢:٧).

ملحق٢٤: القرينة المرتبطة بهذه العبارة، هي لإنذار المؤمنين حالياً، لعدم التذمر، كما فعل أناس من الشعب القديم.. لكنها أيضاً تصلح كقاعدة عامة – للتذمر وغير التذمر – إذ تقدم لنا وقائع قديمة، تماثل ما هو واقع معنا في مجالات شتى.

ملحق٢٥: العدد القادم بمشيئة الرب سيكون بعنوان "سر الله".

ملحق٢٦: الحديث، عن السيد هنا، لايتطرق إلى كونه المثال العظيم فى كل جانب من جوانب حياته الكاملة على الأرض.. بل إلى جانب واحد منها.. ألا وهو سماح الله للشيطان بفعل ما فعل مع السيد.. وصولاً إلى سحق عقبه ساعة الصليب.. وما بعد ذلك من دفن.. وختوم.. وحراسة.. ثم قيامة مجيدة.

ملحق٢٧: مع أن ابن الإنسان ليس للموت سلطان عليه.. إذ هو خالٍ تماماً من الخطية.. ومن كل مسببات الموت.. لكنه "عشم إبليس".

ملحق٢٨: بعد فشله بالإيقاع بابن الإنسان، أصبح الشيطان غير قادر على تجربة المسيح مرة أخرى.. ولا قادر على مجرد طلب الإذن بذلك.. لقد **شُلَّ أدبياً**.. فترك المسيح **مؤقتاً** (مت٤:١١).. و" فَارَقَهُ **إِلَى حِينٍ**" (لو٤:١٣).. إلى حين أن تتاح له الفرصة لسحق عقب ابن الإنسان **حرفياً**.

ملحق٢٩: الرب أباد "**بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ**" (عب٢:١٤).. وأبطل **الموت** (٢تى١:١٠) بقيامته.. أما **ثالث** ما أبطله الرب فهو **الخطية**.. إذ **أبطل** "**الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ**" (عب٩:٢٦).

ملحق٣٠: راجع الأعداد ١٩، ٢٠، ٢١ من هذه السلسلة.. بعنوان حقوق المسيح ج ١، ج ٢، ج ٣

ملحق٣١: فى (خر١٢:١٠).. كما فى (غل٣:٧)، نقرأ أن هذه المدة كانت ٤٣٠ سنة.. بينما فى (تك١٥:١٣ & أع٧:٦) نجدها ٤٠٠ سنة فقط.. كيف؟

هذا يدفعنا لتسجيل الأحداث ووقت حدوثها، طبقاً للكتاب المشوهد.. فنجد:

١- الوعد لابراهيم (تك١٢:١-٣).. وكان هذا عام ١٩٢١ ق.م. تقريباً.

٢- مولد اسحق (تك٢١:١).. وكان هذا عام ١٨٩٧ ق.م. تقريباً.

٣- خروج الشعب من مصر (خر١٤:٣٠)، وإعطاء الناموس (خر٢٠:١).. وكان هذا عام ١٤٩١ ق.م. تقريباً.

وهكذا، ففى (غل٣:١٧)، نقرأ: " **إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً**...." هذه المدة محسوبة من (**البند ١**) عام ١٩٢١ ق.م.. وحتى **إعطاء الناموس** (**البند ٣**) عام ١٤٩١ ق.م.. وتساوى ٤٣٠ سنة.

وفى (أع٧:٦)، نقرأ "**أَنْ يَكُونَ نَسْلُهُ مُتَغَرِّبًا فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ، فَيَسْتَعْبِدُوهُ وَيُسِيئُوا إِلَيْهِ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ**".. وهذه المدة محسوبة من **نسل إبراهيم**.. أى من مولد اسحق (**البند ٢**) عام ١٨٩٧ ق.م.. وحتى خروج الشعب (**البند ٣**) عام ١٤٩١ ق.م.. وتساوى ٤٠٦ سنة.. أو ٤٠٠ سنة مقربة إلى أقرب مائة.

وقد تم ضم أيام غربة ابراهيم واسحق ويعقوب فى أرض كنعان.. (وهى

أرض غريبة.. وليســـــت أرض مصر) (عب١١:٩)، داخل هذه المدة.. ســـواء حسبت بـ ٤٠٠ سنة.. أو بـ ٤٣٠ سنة.. وذلك باعتبار أنها غربة.. ولأن تغرب الــشعب فى أرض مصر كان هو الـــغالب فى مدته، وفى عبوديـــته، لــــذلك اعتُبرت غربة هؤلاء الآباء الثلاثة فى كنعان، ضمن تغرب الـــشعب فى أرض مصر.. وهذا ما نقرأه، الترجمة الســامريـــة واليونانية: "وأما إقامة بنى إســـرائيل التى أقاموها **(وآباؤهم)** فى مصر **(وكنعان)** فكانت ٤٠٠ سنة" (خر١٢:٤٠).

سلسلة ملء الجباب

صدر منها

١- ملء الجباب (نفذ)

٢- تكفيك نعمتي (نفذ)

لماذا أنا بالذات؟

٣- كرسى المسيح (نفذ)

٤- حبيب الرب (طبعة ثانية)

٥- أرى الدم

ثلاثة أبكار

أربع معارك

٦- على الشجوية

ظل الموت

٧- روشتة للألم

٨- كاهن عظيم

٩- السجين الحالم

١٠-ميمى بك

١١-مجاهد فى الجبانة

١٢-رئيس الخلاص

١٣-وأنت تبقى (طبعة ثانية)

١٤-لنا شفيع (طبعة ثانية)

١٥-محطة الأتوبيس

حجرة الفئران

١٦-رائد وسلطان

١٧-لا تهتموا بشئ (طبعة ثانية)

١٨-الاختيار الأزلى

١٩-حقوق المسيح جـ ١

٢٠-حقوق المسيح جـ ٢

٢١-حقوق المسيح جـ ٣

٢٢-حتى الموت

✤ Upon Shiggaion

✤ The Shadow of Death

✤ The Brass Serpent

فى هذا العدد:

- الأذى وأنواعه
- الأذى وأسبابه
- الإذن بالأذى
- الشيطان وشره
- الملائكه وأنواعها
- التدابير وسلطان الله
- أمثلة كتابية

العدد القادم

بمشيئة الرب

سـر الله

وتحت الطبع

هل الله موجود

حتميات لاهوتية

الشاويش بركات

حقوق المسيح ج ٤

سلسلة ملء الجباب

تطلب من

المكتبات المسيحية